

Η ΑΝΑΓΓΕΛΙΑ

مجلة تنكرية

عدد: 226 Issue No:

شهر نيسان April 2026



المسيح

Φ Ω Σ



نور

ΧΡΙΣΤΟΥ



جمعية نور المسيح، رقم ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠

Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619, Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

ΙϞ ΧϞ

الفصح المجيد
المقدس

المسيح قام من بين الأموات ووطىء الموت بالموت وهب الحياة للذين في القبور



كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدسة اورشليم كيرىوس كيرىوس ثيوفيلوس الثالث بمناسبة عيد الفصح المجيد

٧ - ٤ - ٢٠٢٥ ش ،

الواقع في : ٢٠ - ٤ - ٢٠٢٥ غ

ظنَّ إبليس أنه أمسك بإنسان مائت لبيتلعه مع سائر الذين استولى عليهم منذ الدهور في قيوده، لكنه خُدع، «فقد لقي إلهًا مختلفًا في الطبيعة الإنسانية»، على حسب قول القديس يوحنا الذهبي الفم. ولبث غير مائت وغير مُقيّد بالموت بسبب لاهوته **كقوة الآب** غير المتألمة، «وأحيا جسده الخاص كإله»، بحسب تعليم القديس كيرلس الإسكندري. فقد حطّم مفاتيح الموت وأختام القبر، وقام في اليوم الثالث من بين الأموات غالبًا بالموت. تمررت الجحيم إذ هُزئ بها، تمررت لأنها أُبيدت؛ تناولت جسدًا فوجدت فيه إلهًا. **قام المسيح من بين الأموات** فكان باكورة الراقدين، وسلب من الجحيم معتقله وأدخلهم مرة أخرى إلى الفردوس، **وأولهم اللصُّ الشكورُ الذي اعترف باللاهوت مُجاهرًا قائلًا: «أذْكُرُنِي يَا رَبُّ مَتَى جِئْتَ فِي مَلَكُوتِكَ» (لوقا ٢٣: ٤٢).**

وقد أظهر الله هذا السرَّ الفائق للطبيعة للبشر بواسطة آيات كثيرة: «وَإِذَا زَلَّزَلَةٌ عَظِيمَةٌ حَدَثَتْ» (متى ٢٤: ٢٨)، لأنَّ ملاك الربَّ نزل من السماء ودحرج الحجر عن باب القبر وجلس عليه. وكما يروي إنجيل مرقس، قال للنسوة حاملات الطيب: «لَا تَنْدَهَشْنَ! أَنْتُنَّ تَطَلِبْنَ يَسُوعَ النَّاصِرِيَّ الْمَصْلُوبَ. قَدْ قَامَ! لَيْسَ هُوَ هَهُنَا. هُوَذَا الْمَوْضِعُ الَّذِي وَضَعُوهُ فِيهِ.» (مرقس ١٦: ٦). لقد حُتِمَتِ الرؤيا الملائكية بالحضور الإلهي البشري للمسيح القائم من بين الأموات في جسده الذي لا يفسد، المحجّد والمتألم، حاملًا آثار المسامير في يديه وقدميه، وطعنة الحربة في جنبه. فأجاب الربُّ القائم من بين الأموات وقال للمرأتين حاملتي الطيب: «سَلَامٌ لَكُمْ» (متى ٢٨: ٩).

وكذلك بارك الخبز الإفخارستي في الطريق إلى عمواس مع لوقا وكليوبا (لوقا ٢٤: ٣٠).

«وَلَمَّا كَانَتْ عَشِيَّةَ ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَهُوَ أَوَّلُ الْأُسْبُوعِ، وَكَانَتْ الْأَبْوَابُ

بِرَحْمَةِ اللَّهِ بطريرك المدينة المقدسة أورشليم وسائر أعمال فلسطين إلى أبناء الكنيسة أجمعين، نعمة ورحمة وسلام لكم من القبر المقدس المانح الحياة، قبر المسيح القائم من بين الأموات.

«وَلَيْنَ كُنْتِ قَدْ نَزَلْتِ إِلَى الْقَبْرِ، أَيُّهَا الْعَدِيمُ أَنْ يَكُونَ مَائِتًا، إِلَّا أَنْتِ دَرَسْتِ قُوَّةَ الْجَحِيمِ، وَفُتِمْتِ كَعَالِبٍ، أَيُّهَا الْمَسِيحُ الْإِلَهِي. وَلِلنَّسُوءِ حَامِلَاتِ الطَّيِّبِ قُلْتِ: افْرَحْنَ، وَارْتُدِّي السَّلَامَ، يَا مَانِحِ الْوَأَقِيَعِينَ الْقِيَامَةَ» (فدداق أحد الفصح).

في فرح لا يُنطقُ به ومملوء مجداً، وبشكرٍ وتسبيحٍ لإلهنا الكليُّ الصلاح، تحتفل كنيسة المسيح المقدسة في هذه الليلة الخلاصية المشعشعة بالنور بسرَّ قيامة مؤسسها من بين الأموات، ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح، وتحتفل بالحدث الذي فيه ابن الله وكلمته، ذاك الذي: «فِي الْبَدَءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللَّهُ.» (يوحنا ١: ١)، «صَارَ جَسَدًا، وَحَلَّ بَيْنَنَا» (يوحنا ١: ١٤).

حدّث فيه، كما يقول القديس أناسيوس الكبير، اتحاد عنصرين غير متشابهين بحسب الطبيعة: اللاهوت والناسوت. وفي الجسد الذي اتخذته، بإرادة الآب ومن فيض محبته للبشر، قَبِلَ طوعًا الموت عنًا، موت الصليب، في عهد بيبلاطس البنطي.

أهرق دمه الإلهي «خَارِجَ الْبَابِ» (عبرانيين ١٣: ١٢)، القريب منّا، ودُفِنَ في هذا القبر الذي تُقام فيه في هذه الساعة الإفخارستيا الإلهية من قبل صهيون المقدسة التي نالت أولاً غفران الخطايا بواسطة القيامة. صُلبَ ودُفِنَ «وَأُحْصِيَ مَعَ أُمَّةٍ» (مرقس ١٥: ٢٨)، «فَمَضَوْا وَضَبَطُوا الْقَبْرَ بِالْحُرَّاسِ وَخَتَمُوا الْحَجَرَ.» (متى ٢٧: ٦٦). ومع ذلك لم يكن للموت سلطان عليه، إذ بقي في القبر بالجسد، وفي الجحيم بالنفس كإله، وفي الفردوس مع اللص، وعلى العرش مع الآب والروح القدس، مائلًا الكل، هو الذي لا يُوصَف.

فالكنيسة تبشّر، وتعلّم، وتعمّد، وتقيم سرّ الإفخارستيا الإلهية، وتناول جسده ودمه القدوس، لمغفرة الخطايا، والحياة الأبدية. هذا العمل تفعله أم الكنائس، صهيون المقدسة، في الأماكن المقدسة كل يوم ولاسيما الآن في هذه الساعة، عند قبر المسيح الحبي، الذي قام منه. ومن هذا الموضوع المقدس، تبارك رعيته المنتشرة في أقطار الأرض كلها، والحجاج الأتقياء الذين سارعوا إلى ههنا «من الغرب، ومن البحر، ومن الشمال، ومن المشرق»، هاتفين معا:

«المسيح قام من بين الأموات، فلنسجد لقيامته المقدسة ذات الثلاثة أيام».

في مدينة أورشليم المقدسة، فصح ٢٠٢٥
الداعي لكم بحرارة من أعماق القلب

البطريك ثيوفيلوس الثالث
بطريك المدينة المقدسة أورشليم

المسيح قام، حقًا قام
مع أدعيتنا وبركاتنا الأبوية

مُغْلَقَةً، حَيْثُ كَانَ التَّلَامِيذُ مُجْتَمِعِينَ، جَاءَ يَسُوعُ وَوَقَفَ فِي الْوَسْطِ، وَقَالَ لَهُمْ: «سَلَامٌ لَكُمْ! وَلَمَّا قَالَ هَذَا أَرَاهُمْ يَدَيْهِ وَجَنْبَهُ، فَفَرِحَ التَّلَامِيذُ إِذْ رَأَوْا الرَّبَّ.» (يوحنا ٢٠: ١٩-٢٠)، ونفخ فيهم وقال لهم: «اقْبَلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ»، وأعطاهم سلطان مغفرة الخطايا: «مَنْ عَفَرْتُمْ خَطَايَاهُ تُعْفَرُ لَهُ، وَمَنْ أَمْسَكْتُمْ خَطَايَاهُ أُمْسِكْتُمْ» (يوحنا ٢٠: ٢٣).

وأيضًا، إذ وقف في وسطهم، أكّد لهم أنّ له لحمًا وعظامًا، وتناول أممامهم وأكل قطعة من سمك مشوي (لوقا ٢٤: ٤٢-٤٣).

وَحَوْلَ شَكِّ تَوْمًا إِلَى إِيمَانٍ رَاسِخٍ. (يوحنا ٢٠: ٢٦-٢٧)، وقد أراهم أيضًا نفسه حيًّا ببراهين كثيرة، بعدما تأمّ، وهو يظهر لهم أربعين يومًا (أعمال ١: ٣)، ثم ارتفع إلى السماوات (أعمال ١: ٩)، والتلاميذ شاخصون إليه، وأجلس طبيعتنا البشرية التي اتخذها عن يمين الله، وأهلها. وهكذا تمّ التدبير الإلهي لأجل خلاصنا.

ومن عرش مجده الذي هو عند الآب أرسل، كما وعد تلاميذه، معزّيًا آخر: أرسل من عند الآب روحه القدوس، نوره وقوته، وبواسطة الآثني عشر اصطاد المسكونة كلها، وبهم أسّس الكنيسة وثبتها في العالم لتُتمّ عمله: عمل الخدمة والمصالحة والوحدة وخلص البشر.



ذلك بثقة. لا لتفاهات الكلام، ولا للشكوى والاضطراب، بل لتفتح للغرض الذي خُلِقَتْ لأجله: لكي تَمجّد الله. فالقديس يوحنا الذهبي الفم يعلم أنّه لا شيء أكثر طبيعية للإنسان من شكر الله، لأنّ التمجيد هو تنفّس النفس.

حينئذٍ تصير كلُّ كلمةٍ بخورًا عطرًا، وكلُّ نفسٍ يتحوّل إلى شكرٍ لله: شكرًا على النور الذي يشرق، وعلى النفس الذي ما زال يملأ الصدر، وعلى محبة الله التي تُحيط بالإنسان كما يُحيط هواء الصباح بالأرض. وهكذا يصير صوت الإنسان شعاعًا صغيرًا من تلك الأشعة التي رأتها عيناه. وهذا الشعاع يسافر في أرجاء الخليقة وهو يهمس



برسالة بسيطة، لكنها أبدية:

صباح الخير، صباح القيامة: الخالق عظيم، ومحبتّه هي الفجر الحقيقي للحياة. فكما أشرق نور القيامة من القبر، هكذا يشرق في كل صباح رجاء الحياة الجديدة. هكذا يبدأ اليوم بالامتنان: شكرًا للنور، وشكرًا للعينين اللتين تبصران، وشكرًا للشفاة التي تستطيع أن تمجّد. وعندما يصلّي القلب بهذه البساطة وبهذا التواضع، فإنّ حتى أكثر صباحٍ عاديّ يصبح سرّ حضورٍ إلهي.

إنّ أوّل نورٍ في النهار هو دائمًا تذكير بأنّ الله لا يزال يهب الحياة للعالم. وهذا النور يذكّر المؤمن أيضًا بذلك الفجر الأعظم، فجر القيامة، حين أشرق نور المسيح من القبر، فبدّد ظلمة الموت وفتح للبشرية طريق الحياة الجديدة. لذلك فإنّ كلّ صباح في حياة المؤمن هو صدى لذلك الفجر الخلاصي، ودعوةٌ لكي نحيا في نور القيامة.

لقد أشرق الفجر ووجد النفس ساهرةً يقظة، لا بسبب ضجيج العالم، بل بفعل ذلك الإحساس الدقيق والمقدّس الذي يسبق ولادة النور. إنّها اللحظة التي يتراجع فيها صمت الليل، وتتهيأ الخليقة لتهمس بأول ترتيلة لها نحو الخالق. عندئذٍ تفتح أمام الإنسان عظمتان عظيمتان، بسيطتان في ظاهرها، ولكنهما مملوءتان عجبًا.

تصير الرؤية عندئذٍ شهادة. فالعينان لا تبصران فحسب، بل تعترفان. فكلُّ نورٍ صباحيٍّ يصبح تذكيرًا بأنّ الحياة ليست مُلغًا للإنسان، بل هي عطيةٌ تُوهب له مرارًا وتكرارًا من الله. ومع ذلك فإنّ النفس لا تكتفي بأن ترى فقط. فعندما تمتلئ من عجب الخليقة، تنشأ في داخلها رغبةٌ أخرى: أن تشترك هي أيضًا في هذا النشيد الذي ترفعه الخليقة. عندئذٍ يفتح العطاء الثاني.

الشفاه: في البداية تفتح بتدرّد، كأنها تختبر هواء اليوم الجديد. ثم بعد



قيامة لعازر: إعلان سلطان المسيح قبل الصليب

على الرغم من أن **المخلص** تكلم مرارًا وتكرارًا مع تلاميذه عن آلامه، إلا أنه كان يراهم يرتبون ويخافون عندما يسمعون ذلك، وكانوا يظنون أن الآلام التي أنبتوا بها هي علامة ضعف أكثر منها **تدبيرًا إلهيًا** لخلاص البشر، وكانوا ما يزالون ينساقون وراء أفكار بشرية ويرتجفون خوفًا.

لذلك، عندما اقتربت ساعة آلامه وكان صليبه مزعمًا أن يُنصب، أقام **لعازر** الذي كان قد مات، ليعلم تلاميذه بالفعل أن **الصليب والموت** ليسا علامة ضعف، ولِيُظهر للحاضرين أيضًا أنه، وإن كان يأمر الموت ويعيد النفس التي تحررت من قيودها الأرضية، فإنه سيقبل هو نفسه الموت الطوعي من أجل **قصد إلهي**.

وبإقامة لعازر بدا كأنه يُمهّد ويُشير مسبقًا إلى **قيامته** هو بعد ثلاثة أيام. وبقاء لعازر زمنيًا قصيرًا في القبر عزى ضعف القلوب. وهكذا، وهو على مشارف صليبه، خفف خوف التلاميذ، مبيّنًا أن ما منحه لغيره يستطيع بسهولة أن يفعله أيضًا لنفسه. وبأعماله ذاتها كان يوتخ أولئك الذين كانت تعزيرهم الشكوك.

وكان أعماله نفسها كانت تتكلم، وكأنه يقول من خلال ما صنعه ما يأتي:

إن الطبيعة البشرية التي اتخذتها لم أتركها قط بلا **فعلي الإلهي**، بل كنت أعمل أحيانًا كإنسان وأحيانًا كإله؛ فمن جهة كنت أظهر طبيعتي الإلهية، ومن جهة أخرى كنت أثبت سر التدبير الإلهي، أي التجسّد، مبيّنًا أن الأعمال المتواضعة تُنسب إلى طبيعتي البشرية، أما الأعمال السامية فتُنسب إلى طبيعتي الإلهية.

«وبهذا المزج غير المتساوي في عمالي كنت أفسّر **اتحاد الطبيعتين** غير المتساويتين. وبسلطاني على الآلام، أي أمراض البشر، كنت أظهر

أني أحتمل الآلام بإرادتي.

فقد ضبطت، بصفتي إلهًا، الطبيعة البشرية التي اتخذتها، إذ مددت الصوم أربعين يومًا بلا طعام «فَبَعْدَ مَا صَامَ أَرْبَعِينَ نَهَارًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً، جَاعَ أَحْيِرًا.» (متى ٤: ٢)، ثم جعلت بعد ذلك. وتعبت كإنسان، لكنني بصفتي إلهًا هدأت البحر الهائج. «فَحَدَّثَ نَوْهُ رِيحَ عَظِيمٍ، فَكَانَتِ الْأَمْوَاجُ تَضْرِبُ إِلَى السَّفِينَةِ حَتَّى صَارَتْ تَمْتَلئُ.... وَقَالَ لِلْبَحْرِ: «اسْكُتْ! إِنَّكُمْ!» فَسَكَتَتِ الرِّيحُ وَصَارَ هُدُوءَ عَظِيمٍ.» (مرقس ٤: ٣٧-٣٩). وكإنسان تعرّضت لنجارب الشيطان. «ثُمَّ أَصْعَدَ يَسُوعُ إِلَى الْبَرِّيَّةِ مِنَ الرُّوحِ لِجَرَّبَ مِنْ إِبْلِيسَ. فَبَعْدَ مَا صَامَ أَرْبَعِينَ نَهَارًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً، جَاعَ...» (متى ٤: ١-١١)، أما كإله فقد طردت الشياطين بأمرى. «وَجَاءُوا إِلَى عِبْرِ الْبَحْرِ إِلَى كُورَةِ الْجَدْرِيِّينَ. ... اسْتَقْبَلَهُ مِنَ الْقُبُورِ إِنْسَانٌ بِهِ رُوحٌ بَحْسٌ.... لِأَنَّهُ قَالَ لَهُ: «اخْرُجْ مِنَ الْإِنْسَانِ يَا أَيُّهَا الرُّوحُ النَّجِسُ.»» (مرقس ٥: ١-١٥).

أنا مزعج أن أتألم كإنسان من أجل خلاص البشر. ولكن لكي لا تظنوا أن ما سيحدث هو علامة ضعف، فقبل أن يأتي الموت أعيد إلى الحياة ذلك الذي كان الموت يمسك به.

وبعد أن أعلنت أولًا فعل **طبيعتي الإلهية**، سأوفي بعد ذلك الدين القديم المترتب على الجنس البشري. وبعد أن حللت قيود الموت عن **لعازر**، سأسمح بعد ذلك أن أُقيد أنا أيضًا بها، وبالوقائع نفسها سأظهر أن لي سلطانًا أن أبذل حياتي، ولي سلطان أيضًا أن آخذها من جديد. «لَيْسَ أَحَدٌ يَأْخُذُهَا مِنِّي، بَلْ أَصْعَعُهَا أَنَا مِنْ دَائِي. لِي سُلْطَانٌ أَنْ أَصْعَعَهَا وَلِي سُلْطَانٌ أَنْ آخُذَهَا أَيْضًا. هَذِهِ الْوَصِيَّةُ قَبْلَتْهَا مِنْ أَبِي» (يو ١٠: ١٨).

للقديس يوحنا الذهبي الفم، عظة في لعازر الذي كان له أربعة أيام في القبر. الآباء اليونانيون (Patrologia Graeca)، المجلد ٥٠، الصفحة ٦٤١ (مقتطف).

الأيام التي تمضي، وعلى الساعات التي تضيع وسط الموم والانشغالات وأصوات العالم. غير أن التقليد الروحي في الكنيسة يعلم أن الزمن لا يُقاس فقط بساعة الحياة اليومية، بل بمقدار شركة الإنسان مع الله. فالوقت الذي يمرّ من دون الله يشبه الرمل الذي ينساب هادئًا من بين الأصابع حتى يضيع. أمّا لحظة صلاة واحدة فيمكن أن تتحوّل إلى أبدية. ولذلك يعلم القديس يوحنا الذهبي الفم أن لا شيء أقوى من الإنسان الذي يُصلي بصدق، لأن السماء والأرض في تلك الساعة تتحدان داخل قلبه.

ولهذا فإن الكنيسة تدعو الإنسان أن يتعلّم أن يعيش زمنه بطريقة مختلفة. فلا يبدده فقط في أعمال تبقى هنا تحت الشمس، بل يحوّل إلى تقدمه لله. فكل ما يُصنع بالمحبة، وبالصلاة، وبالتوبة، وبالنواضع، لا يضيع أبدًا. بل يصير كنزًا يتبع الإنسان إلى ما بعد القبر. أمّا الأمور التي تبقى حبيسة الاكتفاء الذاتي وباطل هذا العالم، فإنها تتلاشى مثل الورقة التي تحملها الريح.

إنّ الحكمة الحقيقية للمسيحي هي أن يدرك هذه الحقيقة الدقيقة والعميقة. فليس الغنى هو الذي يخلص الزمن، ولا النجاح، ولا المجد. بل العلاقة مع المسيح. فالقلب الذي يذكر الله خلال يومه، والذي يتوجّه إليه في الألم كما في الفرح، والذي يحفظ الصلاة في داخله كما يحفظ القنديل شُعَلَتُهُ، هذا القلب يحوّل الزمن إلى أبدية.

وهكذا يبدأ الإنسان أن يرى الحياة بعينٍ أخرى. فالتجارب لم تعد طريفًا ضائعًا، بل فرصة للتقديس. والضيقات تصبح تربية روحية. وأمّا اللحظات الصغيرة من الصمت أمام الله فتصير ينبوع سلام. وعندئذ يفهم الإنسان أنّ الزمن الوحيد الذي لا يضيع أبدًا هو الزمن الذي يُعاش في حضور المسيح. أمّا كل ما عدا ذلك فيبقى هنا. غير أنّ محبة الله والشركة معه تفتح منذ الآن باب الأبدية.

عندما يتعلّم الإنسان أن يعيش هكذا، لا يعود يخاف نهاية الزمن. لأنه يعرف أن طريق الإيمان لا ينتهي عند القبر، بل يستمر في ملكوت الله الأبدي، حيث يتحوّل الزمن إلى حياة غير فاسدة ويصير حضور المسيح فرحًا لا ينتهي.

إن الزمن الذي يمضي بالقرب من المسيح لا يضيع أبدًا، بل يصبح نورًا يرافق الإنسان من الأرض إلى الأبدية.

وفي هذه الأيام المقدسة من أسبوع الآلام نتأمل هذا السرّ بوضوح أعظم. فالمسيح الذي دخل بإرادته طريق الصليب لم يبدد الزمن، بل حوّلته إلى خلاص. ساعات الآلام التي بدت في نظر العالم هزيمة صارت في تدبير الله باب القيامة. وهكذا يتعلّم المؤمن أنّ الزمن الذي يُعاش مع المسيح، حتى وإن مرّ عبر الألم والدموع، لا يضيع أبدًا، بل يتحوّل إلى نور القيامة. لذلك تسير الكنيسة مع ربّها من الصليب إلى القبر، ومن القبر إلى الفجر الجديد، لكي تعلن أن الحياة أقوى من الموت، وأن الزمن الذي يُعاش في شركة مع المسيح يصير منذ الآن بداية الأبدية.

المسيح قام من بين الأموات! حقًا قام! وهب العالم الحياة الأبدية.

الزمن الذي لا يضيع

Ο χρόνος που δέν χάνεται



Ο χρόνος που περνά κοντά στον Χριστό δεν χάνεται ποτέ. Γίνεται φως που συνοδεύει τον άνθρωπο από τη γη μέχρι την αιωνιότητα.

الزمن الذي يمضي بالقرب من المسيح لا يضيع أبدًا. بل يصير نورًا يرافق الإنسان من الأرض إلى الأبدية.

شذرات روحية من جبل آثوس المقدس

الزمن الذي لا يضيع

لَمْ يَعِدِ اللهُ الْإِنْسَانَ قَطُّ بِأَنْ تَكُونَ مَسِيرَتُهُ فِي هَذَا الْعَالَمِ طَرِيقًا مَفْرُوشًا بِالسُّهُولَةِ وَالرَّاحَةِ. فحياة المسيحي ليست هروبًا من التجربة، بل جهادًا يُعاش داخل التاريخ. ومنذ اللحظة الأولى لوجود الكنيسة كان المؤمنون يدركون أنّ الإنجيل لا يدعو إلى رفاهٍ دنيوي، بل إلى مسيرة صليبية. وقد قال الرَّبُّ نفسه بوضوح إن في العالم ستكون ضيقات، غير أنّ القلب لا ينبغي أن يضطرب، لأنه هو قد غلب العالم. فَأَلْفَرَدُوسُ الَّذِي يَعِدُ بِهِ اللهُ ليس هنا، في الأفراح الزائلة التي تمرّ كظلمة، بل في الحياة الأبدية حيث لا فساد ولا دموع.

في داخل هذه الحقيقة ينكشف أيضًا سرّ الزمن. فالإنسان يقلق على



حقاً إن ذلك الجمع قد أدرك أتمها كانت دخولاً ملوكياً؛ فكما أنه في الأزمنة الحاضرة، حين يخرج ملكٌ محاربة طاغية ويعود منتصراً، يخرج جميع سكان مدينته لقاائه قبل وصوله إلى المدينة، مكرّمين انتصاره بالهتافات، لا بدافع حبٍّ باطلٍ للمجد، بل بدافع شوقٍ نابع من فرح النصر؛ هكذا أيضاً، في حالة السيد المسيح، وكأنه ملكٌ ظافر حامل للغلبة، أظهر كلَّ الجمع - سواء بالكلمات أو بسعف النخل - أنّ الآتي هو المنتصر، بل وأكثر من ذلك: **أنّه الإله المعروف والمُعَلَن**، لأنّ هذه الأصوات التي قيلت آنذاك هي أصواتٌ تليقُ بالله وحده، وهي اليوم تُتلى من جديد، وتكشف لأصحاب الفهم أسراراً إلهية عميقة: «أوصنا في الأعالي».

«ما معنى: أوصنا في الأعالي؟»

أي: خلّص الآن، أيّها الكائن في الأعالي؛ لأنّ كلمة «أوصنا» تُفسَّر في اللفظ العبري: «خلّص الآن». أوصنا في الأعالي،

أي: خلاصٌ من فوق، ومحبة للبشر في الأسفل.

يا لمعرفة هذا الجمع **بالله**، إذ اشترك في خدمة ملائكية،

يسير على الأرض ويجول في السماء،

يلبس الجسد ويمارس ما يخصّ غير المتجسّدين،

يهودٌ في التسمية، ومسيحيّون في العمل،

دنيويّون في السلوك، ورسوليّون في الاعتراف..»

وهؤلاء أيضاً قد نالوا الإعلان من فوق، كما ناله بطرس. فكما أنّ بطرس، هامة الرسل، لم ينطق باعترافه عن اجتهادٍ بشريٍّ أو فكرٍ شخصيٍّ، بل عن إعلانٍ إلهيٍّ، حين قال **للربّ**: «أنتَ هو المسيح، ابنُ الله الحيّ». (متّى ١٦: ١٦)، وكما أنّ الربّ أظهر أنّ هذا الاعتراف لم يكن ثمرة لحمٍ ودم، بل عطية من الآب السماوي، فطوبه قائلاً:

سُمّي هذا العيد «الشعانين» نسبةً إلى صرخة «هوشعنا»، أي: «خلصنا يا ربّ»، التي أطلقها الشعب عند دخول السيد المسيح إلى اورشليم، مُعلنين إيمانهم به ملكاً ومخلّصاً.

كلمة الشعانين مأخوذة من العربية: **هوشعنا** (هوشع نا) انتقلت إلى اليونانية بصيغة: **Ωσσαννά** (هوصنا/ أوسنا) ثم إلى العربية بصيغة: شعانين / شعنين / شَعْنينة.

عظة في أحد الشعانين

للقديس يوحنا الذهبي الفم

ها إنّ مواهب العيد السيّدي قد بدأت تُشرق، وها إنّ رسائل العيد المشهور قد سبقت فأعلنت، وها إنّ لعازر، إذ نال عربون القيامة العامة، قد اتكأ مع الربّ، وها إنّ سرّ العطية قد فاح بعطره للذين يسرعون إلى المعمودية، وها إنّ الشعب المؤمن، إذ اندفع للقاء الربّ، يهتف صارخاً، كما سمعت أنّفاً... أوصنا في الأعالي، مبارك الآتي باسم الربّ... الخ.... (أنظر ما يلي)

ملحوظة: القديس يوحنا الذهبي الفم يعرض هذه الترتيلة أو النشيد في اليونانية وترجمتها الحرفية: أوصنا في الأعالي، مبارك الآتي باسم الربّ، ملك إسرائيل. مبارك الآتي، الآتي على الدوام، والكائن معنا، والذي لا يكون البتّة خارج جماعة المؤمنين. الآتي تُذكر ٣ مرّات. وهذا تفسيرها: (١) الآتي تاريخياً: **أورخومينوس** ὁ ἐρχόμενος الذي دخل اورشليم يوم الشعانين.

(٢) الآتي دائماً: أو آبي **إرخومينوس** ὁ ἀεὶ ἐρχόμενος حضوره ليس حدثاً عابراً، بل حضور دائم في الكنيسة.

(٣) الكائن معنا الآن: **أون مَث** ἰμὼν μεθ' ὧν حضور إفاخراستي وكنسي حيّ. ثم تُختم بالفكرة العقائدية: «ولا يكون البتّة خارج جماعة المؤمنين» أي: **المسيح لا يُفهم ولا يُختبر خارج الكنيسة.** (انتهت الملحوظة الهامة).

النبويّة، حملوا سعف النخل، وقالت الجموع بعضها لبعض: لماذا ننتظر ولا نخرج للقائه، حاملين سعف النخل، ذاك النخل العقلي؟ فإنّ ثماره ملوّهة حلاوةً ولا موت فيها.

أورافه شفاهً للمسكونة، وسأفه - أي خشبة الصليب - خلاصُ العالم كلّه، وغلبه النصر على إبليس. وقد سمعنا الكنيسة الخارجة من الأمام تصرخ في **نشيد الأناشيد** قائلة: «أصعدُ إلى النخلة، وأمسكُ بأغصانها». فلنسبق نحن الكنيسة الخارجة من الأمام، ولنحني المسيح، كنخلة عقلية، وكملك قويّ، معانقين إياه. «إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى النَّخْلَةِ وَأُمْسِكُ بِعُدُوقِهَا» (نشيد الانشاد ٨:٧). (عذوقها = عنقيدها المثمرة).

وبينما كانت الجموع تقول هذه الأمور وتفعلها، **وتمدح الربّ**، كان رؤساء الكهنة والفريسيّون قد استشاطوا غضبًا شديدًا، فأخذوا يوجّهون الجموع قائلين:

ماذا تفعلون، ولماذا تهدون بهذا الكلام الباطل، أيّها المتهورون؟ ألي ابن النجار تتقدّمون كإله حاملين سعف النخل؟ أتسمّونه ربًّا وهو الذي ليس له أين يسند رأسه؟ أتطلقون أصواتًا ملوكية على الجالس على جحش أتان؟ أليس أبوه وأمه بيننا؟ كُفّوا، أيّها المتهورون، وإلاّ تُعاقبون، فإنّما نحن هنا لكي نُنزل بالחסورين جزاء جرأتهم، ونُحاسب المتطاولين على وقاحتهم.

فلما سمعت الجموع كلام رؤساء الكهنة هذا، لم يندفعوا إلى إثارة اضطراب، إذ كان السلام حاضرًا، بل أجابوهم وقد كانت النعمة تعمل معهم قائلة: أتومنوننا أيّها الفريسيّون، وتهدّدوننا بالعقاب كأننا ننطق بتجديف؟ فمن الأجدر بالعقوبة: أنتم الذين تقرأون الكتب ولا تفهمون، أم نحن الذين نسمع ونحفظ؟ أخطئ إذ تقدّم سعف النخل **للربّ**؟ أليس هو نفسه نخلة البرّ؟ أليس عنه صرخ النبيّ قائلاً:

أليس الصديق كالنخلة يزهو؟ ألم يُزهو هو نفسه بإعادة البصر إلى العميان، ولم يهب العرج مسيرًا بلا عائق، ولم يجعل المشلول يحمل السرير الذي كان محمولًا عليه، ولم يُقيم لعازر ذا الأربعة أيّام من الموت؟ أفلهذا تريدون أن تقتلوا لعازر مرّة أخرى؟ أليس أنتم الذين دحرجتم الحجر، ومع ذلك تنقسون في عدم إيمانكم بالحجارة؟ أليس هو الذي أذن لكم أن تحلّوا الأبرطة، لكي لا تفتروا؛ كما في شأن الأعمى منذ ولادته؛ بأنّ شخصًا آخر قد قفز من قبرٍ آخر؟ دائمًا تحسدون الأعمال الصالحة، أيّها الفريسيّون، وتعاندون الجموع التي تؤمن.

لذلك تشاورتم مرّة أخرى أن تقتلوا **لعازر**، لكي تقطعوا إيمان الجموع. فليكن! افترضوا أنّكم تقتلون: أفلن يقدر أن يقيمه ثانية؟ لنرّ إذا من الذي سيتعب: أنتم القاتلون أم هو **المقيم**؟ أنتم تقتلون بالفعل وبالنعاء، أمّا هو فيقيم **بالكلمة**. فأيهما أشدّ تعبًا؟ أليست الكلمة أخفّ من العمل؟

أفنحن مخطئون، أيّها الفريسيّون، لأننا اقتربنا من **الربّ كملك**؟ إننا، إذ نظرنا إلى الجحش، ازددنا قوّة، ولذلك نعرفه ملكًا مقتدرًا، ولدنيا الكتاب عند أقدامنا، لكي تتعلّموا وتفهموا أنّنا لسنا نحن المخطئين، بل أنتم الضالّون. عندكم **النبيّ زكريّا**؛ افتحوا كلماته، وخافوا من منجّله، من سيف انتقامه، لأنّ هذا **النبيّ**، منذ أزمنة بعيدة، وهو يُبشّر

«طوبى لك يا سمعان بن يونا، إنّ لحما ودما لم يُعلن لك، لكنّ أبي الذي في السماوات». (متى ١٦: ١٧)، ؛ على هذا النحو عينه، فإنّ الجمع أيضًا، إذ نال الإعلان من فوق، أخذ يصرخ **نحو الربّ** بأصواتٍ تليق به قائلاً: «أوصنّا في الأعالي! مبارك الآتي باسم الربّ! ملك إسرائيل!». كما يوردها القديس يوحنا الذهبي الفم جامعًا بين صيغ إنجيلية.

وقد يقول قائل، كما هو متوقّع: ومن أين لنا البرهان أنّ هذا الجمع اليهودي قد نال الإعلان من فوق؟ ومن أين نُثبت ذلك؟ أثبتته لكم من **كلام الربّ نفسه**. فهو يقول: «لَمَّا رَأَى رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةُ الْعَجَائِبَ الَّتِي صَنَعَ، وَالْأَوْلَادَ يَصْرُخُونَ فِي الْهَيْكَلِ وَيَقُولُونَ: أَوْصِنَا لِابْنِ دَاوُدَ، اغْتَاظُوا، وَقَالُوا لَهُ: أَتَسْمَعُ مَا يَقُولُ هؤُلَاءِ؟ فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: نَعَمْ. أَمَّا قَرَأْتُمْ قَطُّ: مِنْ أَفْوَاهِ الْأَطْفَالِ وَالرُّضَعِ أَعْدَدْتَ تَسْبِيحًا؟» (متى ٢١: ١٥-١٦؛ مز ٨: ٢).

وليس من **كلام الربّ وحده** استمدّ البرهان، بل أيضًا من ذاك الاجتماع العجيب للجماهير وخروجهم للقائه، ومن الأعمال التي قاموا بها؛ إذ لم يكتفوا بالهتاف، بل كانوا يقطعون أغصان الزيتون وسعف النخل، ويحملونها بأيديهم، ويفرشون ثيابهم في الطريق، ويخاطبونه معندين إياه **مخلصًا وملكًا وربًّا**.

ومن هنا يتّضح للجميع أنّهم قد **تسلّموا الإعلان من فوق**. فكيف عرف هذا الجمع **الربّ ملكًا**؟

لم يكن يضع تاجًا لملك أرضي، ولا كان مرتديًا أرجوانًا، ولا كان يرافقه جيش جرّار، ولا كانت تتقدّمه خيولٌ ومركباتٌ ودروعٌ مذهبة، ولا كان جالسًا على مركبة ملكية مفروشة بالأرجوان؛ بل كان جالسًا على جحشٍ غريب، صغير، ولا يصحبه سوى اثني عشر تلميذًا فقط. فمن أين عرف هذا الجمع أنّه ملكٌ بالحقيقة، إنّ لم يكن قد **نال الإعلان من فوق**؟ لذلك لم يطلبوا من **الربّ** تاجًا أرضيًّا، لأنّهم عرفوه ملكًا يملك بلا ابتداء. ولم يطلبوا له ثوبًا أرجوانيًّا، لأنّهم كانوا يعاينونه **متوشّحًا النور كالثوب**.

لم يكونوا ينظرون إلى كثرة الجند، لأنّهم اقتنعوا بما قاله النبيّ: «رَبَّوَاتُ رَبَّوَاتٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ كَانُوا يَحْدِمُونَهُ، وَالْوُفُ أَلُوفٍ كَانُوا وَاقِفِينَ لَدَيْهِ» (دانيال ٧: ١٠). ولم يطلبوا خيولًا ولا مركبات، إذ **عرفوا المسيح** قائداً لمركبته، والإنجيليين تابعين له كالخيول، مقتنعين بما قاله **النبيّ زكريّا**، إذ قال: «حَلَفَهُ خَيْولٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ وَمُلَوَّنَةٌ وَشَهْبٌ». (زك ١: ٨ + ٣: ٦). (أشهب: ما خالط بياضه السواد، ويُقال للخيل).

ملحوظة: آية زكريّا: «رَأَيْتُ فِي اللَّيْلِ وَإِذَا بَرَجُلٌ رَاكِبٌ عَلَى فَرَسٍ أَحْمَرٍ، وَهُوَ وَاقِفٌ بَيْنَ الْأَسْرِ الَّذِي فِي الظِّلِّ، وَحَلَفَهُ خَيْلٌ حُمْرٌ وَشَقْرٌ وَشَهْبٌ». (زكريّا ١: ٨). يربط القديس يوحنا الذهبي الفم بين رؤيا زكريّا ودخول الشعانين ربطًا رمزياً آباءيًا، لا حرفيًا، إذ يرى في خيول زكريّا قوى الخلاص الإلهية غير المنظورة، وفي المسيح الراكب الحقيقي الذي يقود تاريخ الخلاص بلا سلاح ولا جيش أرضي، بل بسلطان علوي. **انتهت الملحوظة.**

فَمِنْ اللَّهِ، إذًا، تسلّم ذلك الجمع المؤمن الأورشليمي الإعلان، فلم يتعثر بتواضع الجحش الحقيق، بل **تقوى بالحضور السيدي**. ولذلك، ما **إن رأوا الربّ** راكبًا على الجحش، حتى، وقد أضيئوا فورًا بالنبوات

اليهودية، قد صرخ قائلاً: «أفرحي جداً يا ابنة صهيون، هُوَذَا مَلِكُكَ يَأْتِيكَ وَدَيْعًا، رَاكِبًا عَلَى جَحْشٍ أَبْنِ أَنَانَ.» (زكريا ٩: ٩). أفتخطئ نحن إذ نقرأ الكتاب ونعرف الملك وننفع أنفسنا ونرجع المترددين؟ أنتم تمسكون بالنيبي، لكنكم لا تريدون أن تفهموا المُنْتَبَأَ عنه! فابتعدوا إذا أيها الفريسيون؛ فكلما ضغطتم علينا، أيقظتم فينا الغيرة أكثر. ولذلك لا نكف عن الهتاف: «أوصنَّا في الأَعَالِي! مُبَارَكُ الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ! مَلِكُ إِسْرَائِيل!» نحن نعرف الاسم، أيها الفريسيون: هذا هو الاسم الذي حرزنا من مصر، وجعل البحر طريقًا، وعمَّر البرية، وأسكننا أرضًا تفيض لبنًا وعسلًا، وهو الذي أعد النبي ليصرخ قائلاً: «لِيَعْلَمُوا أَنَّكَ أَنْتَ اسْمُكَ الرَّبُّ، أَنْتَ وَحَدُّكَ الْعَلِيُّ عَلَى كُلِّ الأَرْضِ» (مزمو ٨٢: ١٩).

وأما أن الجموع كانت مُنقادة ومطبعة، في حين أن رؤساء الكهنة كانوا عصاة قساة القلوب، فقد سمعت ذلك آنفًا من الإنجيلي إذ يقول: «فَتَشَاوَرُ رُؤَسَاءُ الكَهَنَةِ لِيَقْتُلُوا لِعَازَرَ أَيضًا، لِأَنَّ كَثِيرِينَ مِنَ الْيَهُودِ كَانُوا بِسَبَبِهِ يَذْهَبُونَ وَيُؤْمِنُونَ بِيَسُوعَ.» (يوحنا ١٢: ١٠-١١). رأيت جنون رؤساء الكهنة؟

إذ أرادوا أن يقطعوا الجموع عن الإيمان، سعوا إلى قتل لعازر، قائلين في ما بينهم: «إن قتلنا يسوع وتركنا لعازر حيًا، فلن نكون قد أفدنا شيئًا، لأنَّ الناس، إذ يرونه، يؤمنون بذلك. فلنأبى يصير لنا، حتى بعد موته، عثرةً جديدةً فيؤمن بعض آخر بيسوع، فلنقتل لعازر، ونمحو ذكره من كل وجه».

هذا ما كان يقوله رؤساء الكهنة، كأناسٍ باطلي الفكر، لا يفهمون أن الرَّبَّ، المزمع أن يقبل الموت الطوعي من أجل خلود العالم، لم يكن ليترك للعالم ذكرى لعازر وحده وقيامته فحسب، بل أيضًا الصليب الذي لا يُقهر، ذاك الذي لن يقدرُوا لا أن يدمروه، ولا أن يُخفوه، ولا أن يُطلوهُ، إذ يُعلن في المسكونة كلها، شاهدًا على قدرة عمله وفاعليته خلاصه.

وأى بيت ذاك الذي لا يحمل علامة الصليب، ذاك الذي هو غلبة على الشياطين وحرز لحفظ النفوس؟ فماذا يقول الإنجيلي إذا؟ حسن أن نلمس أيضًا رأس هذه القطعة كلها ونقف عند بدايتها. لقد سمعت آنفًا الإنجيلي يقول: «قَبْلَ سِتَّةِ أَيَّامٍ مِنَ الْفُصْحِ جَاءَ يَسُوعُ إِلَى بَيْتِ عَنِّيَا، حَيْثُ كَانَ لِعَازَرُ الَّذِي أَقَامَهُ مِنْ بَيْنِ الأَمْوَاتِ.» (يو ١٢: ١). وما هو هذا اليوم الذي قبل ستة أيام؟ إنه هذا اليوم الحاضر، اليوم الذي يتسم بطابع يوحنا السابق. فكما أن يوحنا تقدّم أمام الرَّبِّ، هكذا هذا اليوم أيضًا يتقدّم القيامة. وكما أن يوحنا، وهو يشير بإصبعه إلى الرَّبِّ، كان يقول: «هُوَذَا حَمَلُ اللَّهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيئَةَ الْعَالَمِ.» (يوحنا ١: ٢٩)، هكذا هذا اليوم أيضًا، وهو يشير بإصبعه إلى الأحد الآتي، يصرخ قائلاً: «هُوَذَا أُمُّ الَّذِينَ سَيُولَدُونَ وَوَلادَةٌ جَدِيدَةٌ» «بقِيامة المسيح الظاهرة».

«قبل ستة أيام من الفصح». اسمعوا اليوم، لأنَّ عبارة «قبل ستة أيام من الفصح» لم تُذكر اعتباطًا، بل لكي تتعلّم أن تُنقي نفسك مُسبقًا من كلِّ دَنَسٍ، وأن تحلَّ العداوة، وتطفي الغضب، وتُخمد الوشاية،

وتُشدّد المحبة، وتُوسّع الرحمة نحو الفقراء، لكي لا تكون وحدك أنت المحتفل، بل يشترك معك المحتاج أيضًا في العيد. فإن لم تُعط صاحب الحاجة، فأنت تحتفل، أما هو فيبقى حزينًا. ولنأبى يصيبك ما جرى مع الغني ولعازر، أعط المحتاج، وأحسن إلى المُعَوَّز، لكي تُعيد أنت على الدوام، ويشاركك هو أيضًا في الفرح والوليمة. فماذا يقول الإنجيلي إذا؟ «قَبْلَ سِتَّةِ أَيَّامٍ مِنَ الْفُصْحِ جَاءَ يَسُوعُ إِلَى بَيْتِ عَنِّيَا، حَيْثُ كَانَ لِعَازَرُ الَّذِي أَقَامَهُ مِنْ بَيْنِ الأَمْوَاتِ.» (يوحنا ١٢: ١).

يا لعظمة حكمة الرَّبِّ!

أقام لعازر لكي يُهَيِّج الشيطان. اسمع بإيجاز.

فَعِنْدَمَا رَأَى الشَّيْطَانُ الرَّبَّ يَصْرُخُ: «لِعَازَرُ، هَلُمَّ خَارِجًا!» (يو ١١: ٤٣)، ورأى كلَّ قوى الجحيم قد تزعزعت، وقوى الأعماق قد عجزت عن الإمساك به، كأنَّ أمرًا ملكيًا قد صدر، بل بالأحرى كأنَّ مشيئة إلهية فاعلة قد تحركت؛ وحين رأى أنَّ شعر لعازر قد عاد يتجدّر من فوق، وأنَّ تفرّق الأعصاب قد التأم، وأنَّ نقص اللحم قد اكتمل، وأنَّ تباعد العظام قد انتظم، وأنَّ مجاري السوائل قد انقبضت، وأنَّ الروح الحيوي قد عاد يتسرّب، وأنَّ النفس السيّدة قد استرجعت مسكنها القديم الأول- حين رأى هذه الأمور وما يشبهها يحدث، اضطرب واضطرب اضطرابًا شديدًا، وصار في هلع، وأمر قواه الخاضعة له قائلاً: «قاوموا! تشدّدوا! لا تسلّموا مُلكي!» (وفي طليعتهم: يهوذا الإسخريوطي، ورؤساء الكهنة والكتبة والفريسيون)

وصرخ قائلاً: «آه، ماذا حلَّ بي؟ إنَّ سلطان الموت الذي اقتنيتَه بالخطيئة ينفار! ذاك الذي أمسكته أربعة أيام أضطرّ الآن أن أعيده قسرًا. لقد وقعت في مصيبة عظيمة! بدأت أتقيأ الذين ابتلعتهم. لست أبكي لعازر وحده، بل أخشى أن أفقد أيضًا سائر الذين أمسك بهم منذ آدم إلى اليوم. أحتاج إلى سرعة عظيمة وقوة كثيرة؛ فإن لم أسبق ذاك الذي ينهني بالكلمة، سيجعلني خاليًا من كلِّ ما أملك.

وجدت ما أفعل، عرفت ما أصنع: عندي اليهود معاونين، وأستأجر يهوذا؛ فهذا يخدمني دائمًا حسنًا. إذ هو محبّ للمال، قدّر الطيب الذي أتت به المرأة بثلاثمئة دينار مُتعبًا إيّاها، وسيبيع سيّد الطيب نفسه بثلاثين دينارًا.

إذا أحتاج إلى عَجَلَةٍ عظيمة لإعداد الصليب؛ هو أخذ منّي لعازر، أما أنا فسأجره إلى هنا وأسحبه كله، وأعده مع الأموات، ليتعلّم ألا يحاربني بعد اليوم بقوة أعظم».

إنَّ قيامة لعازر من بين الأموات هي التي أثارت الشيطان ليدبّر مثل هذه الأمور وما يشابهها ويفكر بها وينطق بها. ولذلك أيقظ اليهود إلى حسدٍ أعظم، لكي يخدموا مشورته ويُعدّوا صليبًا للرَّبِّ، حتى تصير اللعنة بركة، ويغدو خشب الصليب خلاصًا لجميع البشر.

لأنَّه بِقِيَامَةِ لِعَازَرَ اضْطَرَبَ الشَّيْطَانُ، وَاجْتَمَعَ الْفَرِيسِيُّونَ، وَامْتَلَأَتْ مَرْتَبًا يَقِينًا، وَظَهَرَتْ مَرِيَمُ مَجْدَّةُ بِلِيَامَا وَمَحْبَتَا لِلْمَسِيحِ، وَتَقَدَّمَتِ الْقِيَامَةُ فَاسْتُعْلِمَتْ مُسَبِّقًا، وَصَارَ التَّلَامِيذُ أَشَدَّ قُوَّةً، وَآمَنَ كَثِيرُونَ مِنَ الْيَهُودِ بِالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، فَخَرَجُوا لِلِقَائِهِ حَامِلِينَ الأَعْصَانِ وَالسَّعْفِ، وَهُمْ يَهْتَفُونَ قَائِلِينَ: «أَوْصِنَّا فِي الأَعَالِي! مُبَارَكُ الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ! مَلِكُ إِسْرَائِيل!» له المجد والسلطان إلى دهر الدهور. آمين.

المثال فقد كان عليهم في مساء أيام الجمعة أن يدفعوا أجرة العمّال الذين يشتغلون في أشجار الزيتون أو في الحقول، والذين يعملون في البناء، أو في صيانة الدير. وعندما كان الصندوق يفرغ، كانت الراهبات العجوزات يضطربن.

وفي هذه الحالة كانت كل دقيقة من دقائق النهار تتحول لهنّ إلى كابوس. وكُنّ يقتربن من مكتب **نكتاريوس** حانبات الظهر، يائسات، فيسألن:

- ماذا يحصل؟
- غداً هو السبت يا صاحب السيادة...
- إذن؟
- هل يعود العمّال يوم الاثنين؟
- بكم ندين لهم؟
- بحوالي عشرة أيام عمل.
- غداً أجيئكن...
- غداً؟ في أية ساعة؟
- قبل الظهر.

وعند المساء، وقبل أن يخلع ملابسه، كان يقترب من **الدة الإله** ويقصّ عليها بالتفصيل هذه القضية التي لا تنتهي، وكان يفرح بسرر التفاصيل، وكثيراً ما كان يقدّم لها تقريراً مالياً.

وفي اليوم التالي، وفي حوالي الساعة الحادية عشرة، وعندما يصل ساعي البريد على حصانه الصغير مع الكيس المملأ بالرسائل والصحف، كان من المستحيل ألاّ تصل معه الهبات والمال من مصادر غير متوقعة على الإطلاق. وكان المال يصل أحياناً كثيرة من مصر، وكثيراً أيضاً من كندا. وكانت النساء الهرمات يفركن عيونهن عندما كان يدعوهن قبل الغداء بساعة ونصف تماماً ليعلن لهن بلطف وبكل بساطة:

- يمكن للعمّال أن يعودوا نهار الاثنين.
- ماذا؟ هل نملك المال يا صاحب السيادة؟
- لقد أرسلت لنا سيدتنا المال، ونستطيع أن نسدّد ديوننا.
- وماذا عن الأسبوع المقبل؟
- لا تتصرفن ككناكرات للجميل. في الأسبوع المقبل سوف ترسل لنا أيضاً العناية الإلهية شيئاً آخر.
- والحقيقة أنّ العذراء كانت دائماً تُرسلُ الجديد، ولكن فقط في الدقيقة الأخيرة.



القديس نكتاريوس العجائبي

الفصل العاشر

«لأنّهُ الْوَقْتُ لِابْتِدَاءِ الْقَضَاءِ مِنْ بَيْتِ اللَّهِ. فَإِنْ كَانَ أَوْلَا مِنَّا، فَمَا هِيَ نَهَايَةُ الَّذِينَ لَا يُطِيعُونَ إِنْجِيلَ اللَّهِ؟ وَ«إِنْ كَانَ الْبَارُّ بِالْجُهْدِ يَخْلُصُ، فَالْفَاجِرُ وَالْحَاطِئُ أَيْنَ يَظْهَرَانِ؟» فَإِذَا، الَّذِينَ يَتَأَلَّمُونَ بِحَسَبِ مَشِيئَةِ اللَّهِ، فَلْيَسْتَوِدِعُوا أَنْفُسَهُمْ، كَمَا لِلْخَالِقِ أَمِينٍ، فِي عَمَلِ الْخَيْرِ.»

(١ بطرس ٤: ١٧-١٩)

«لَا تَعَزَّزْ مِنَ الْأَشْرَارِ، وَلَا تَحْسَدِ عَمَالَ الْإِثْمِ، فَإِنَّهُمْ مِثْلُ الْحَشِيشِ سَرِيعًا يُقَطَّعُونَ، وَمِثْلُ الْعُشْبِ الْأَخْضَرِ يَذْبُلُونَ. اتَّكِلْ عَلَى الرَّبِّ وَافْعَلِ الْخَيْرَ. اسْكُنِ الْأَرْضَ وَارْعَ الْأَمَانَةَ. وَتَلَذَّذْ بِالرَّبِّ فَيُعْطِيكَ سُؤْلَ قَلْبِكَ. سَلِّمْ لِلرَّبِّ طَرِيقَكَ وَاتَّكِلْ عَلَيْهِ وَهُوَ يُجْرِي، وَيُخْرِجْ مِثْلَ النُّورِ بَرِّكَ، وَحَقِّكَ مِثْلَ الظَّهِيرَةِ. انْتَهَظِ الرَّبَّ وَاصْبِرْ لَهُ، وَلَا تَعَزَّزْ مِنَ الَّذِي يَنْجَحُ فِي طَرِيقِهِ، مِنَ الرَّجُلِ الْمُجْرِي مَكَائِدَ. كُفِّ عَنِ الْعُصْبِ، وَاتْرُكِ السَّخَطَ، وَلَا تَعَزَّزْ لِفِعْلِ الشَّرِّ، لِأَنَّ عَامِلِي الشَّرِّ يُقَطَّعُونَ، وَالَّذِينَ يَنْتَهَظُونَ الرَّبَّ هُمْ يَرْتُونَ الْأَرْضَ.» (مزمو ٣٦: ١-٩)

كان الوقت يمرّ وقد ضعفت الشائعات حول تدخل المेत्रوبوليت وحلّ الدير، وتوقفت. ولم يردّ المेत्रوبوليت على الرسائل التي وصلته رغم أنّها كانت تحرك المشاعر. لكنه لم يتوقف عن نشر التهديدات أينما حلّ، وكان يؤكد بأنه سينظف هذه البؤرة الملوثة في وقت قريب. وكان يقال من جهة أخرى إنّ المेत्रوبوليت يواجه مشكلات كثيرة مع الحكومة. في هذه الأثناء اندلعت الحرب العالمية الأولى وبدأت تنتشر. ووقعت أوروبا وجزء كبير من العالم في دوامة المجازر المتبادلة والتدمير. وسيطر الحرمان والمجاعة والخوف على شعوب كثيرة، فيما كانت البلقان عرضة لاضطرابات متواصلة.

يقال إنّ الوقت يحمل معه النسيان، إلاّ أنه يحمل معه أيضاً الاعتياد. وكان لا يزال يبقى ذلك الحلّ السيئ، وهو العمل على الاعتراف بالدير كجمعية ثقافية أسوة بالجمعيات الكاثوليكية، كمخرج من وضع بالغ القسوة.

وكانت سنة ١٩١٥ بكاملها تقريباً سنة حافلة بالاضطرابات في البلقان، وبجميع أنواع الفتن في بلادنا الصغيرة.

كانوا يعيشون في الدير في الخشوع ويتابعون علمهم مع الصلاة والأمل. ولكن نفس هذا الشعب، هذه الجماهير التي لا اسم لها، كانت تظهر دائماً في مكان ما من حولهم...

وكانت نفس الشعب النقية التي يوجهها الربّ نحو الخير والملوكوت السماوي لم تتوقف عن التفتيش والتعلم دون انقطاع، وعن مساعدة سكان الدير بكل قواها في جميع حاجاتهم وجهودهم. وعلى سبيل



بشارة العذراء والدة الإله الدائمة البتولية مريم

للقديس يوحنا الذهبي الفم

«في الشهر السادس أرسل الملاك جبرائيل إلى عذراء». أي شهر سادس؟ أي شهر؟ هو منذ الوقت الذي قبلت فيه أليصابات البشارة، منذ أن حبلت بيوحنا. ومن أين نستنتج هذا؟ إن رئيس الملائكة نفسه يكشف ذلك عندما يقول للعذراء: «وهوذا أليصابات قريبتك هي أيضاً قد حبلت باين في شيوخوتها، وهذا هو الشهر السادس لتلك التي كانت تدعى عاقراً». إذن فالشهر السادس هو الشهر السادس منذ حبل يوحنا. وكان ينبغي إذاً أن يصل الجندي أولاً، وكان ينبغي أن يسبق التابع، وكان ينبغي أن يتقدم ذلك الذي سيعلم حضور السيد.

«في الشهر السادس أرسل الملاك جبرائيل إلى العذراء التي كانت مخطوبة لرجل».؛ مخطوبة لا متزوجة؛ مخطوبة لكنها لم تعرف رجلاً، بل بقيت عذراء نقية. ولماذا كانت مخطوبة؟ لكي لا يكتشف الشيطان السر بسرعة. أما أن الملك كان مزماً أن يأتي بواسطة عذراء، فهذا كان يعلمه الشيرير، لأنه كان قد سمع نبوات إشعياء التي تقول: «ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه «عمانويل» (إش ٧: ١٤)، أي إن العذراء ستحبل حبلاً فائقاً للطبيعة وتلد ابناً، ويكون اسمه عمانويل، أي الله معنا. لذلك كان يفحص في كل مرة، كما هو طبيعي، كل ما يتعلق بالعذراء، لكي إذا أدرك أن هذا السر يتم، يُعدّ اتهاماته. ولهذا جاء السيد إلى الأرض من خلال عذراء مخطوبة، لكي يخدع الشرير؛ لأن خطوبتها كانت تستر سر التدبير الإلهي عن نفخ الشيرير وترصده.

«في الشهر السادس أرسل الملاك جبرائيل إلى عذراء كانت مخطوبة لرجل اسمه يوسف». إسمع، أيها السامع، ما يقوله النبي عن هذا الرجل وعن هذه العذراء: «ويُدفع هذا الكتاب إلى يد إنسان لا يعرف الكتابة» (إش ٢٩: ١٢). ماذا يعني الكتاب المختوم؟ أو ماذا تعني عموماً العذراء الطاهرة؟ ومن الذين سيعطونه؟ من الواضح أنه سيعطى من الكهنة. ولمن؟ ليوسف النجار. فالكهنة إذاً خطبوا مريم ليوسف لأنه كان رجلاً عاقلاً، وسلموها إليه منتظرين زمن الزواج، وكان هو بدوره سيأخذها ويحفظ العذراء بلا دنس. وهذا ما تنبأ به

اليوم أيضاً لدينا بشائر مفرحة، واليوم أيضاً لدينا رسائل حريّة؛ اليوم أيضاً لدينا استعادة من السقوط وعودة إلى الحياة، ووعده بالابتهاج وتحزّز من العبوديّة. إن ملاكاً يخاطب العذراء، لكي لا يعود الشيطان فيتكلم مع امرأة.

يقول الكتاب: «في الشهر السادس من حبل أليصابات أرسل من الله الملاك جبرائيل إلى عذراء كانت مخطوبة لرجل». (لو ١: ٢٦-٢٧).

أرسل جبرائيل ليعلن الخلاص الشامل للبشر.

أرسل جبرائيل ليحمل إلى آدم خبر استعادته الأكيدة.

أرسل جبرائيل إلى العذراء ليحوّل عار الجنس النسائي إلى كرامة.

أرسل جبرائيل ليهيئ المخدع العرسي ليكون لاحقاً بالعريس الطاهر.

أرسل جبرائيل ليؤمّن اتحاد الخليقة بخالقها.

أرسل جبرائيل إلى القصر الحيّ لملك الملائكة.

أرسل جبرائيل إلى العذراء المخطوبة ليوسف، لكنها كانت معدّة

ليسوع ابن الله.

أرسل الخادم غير الجسدي إلى عذراء طاهرة.

أرسل الذي بلا خطيئة إلى تلك التي لن تعرف الفساد. أرسل

السراج ليعلن شمس البرّ.

أرسل الفجر الذي يسبق نور النهار.

أرسل جبرائيل ليبشّر بذلك الذي هو في أحضان الآب وفي حضن

الأم.

أرسل جبرائيل ليظهر ذلك الذي يجلس على العرش ويضطجع أيضاً

في مغارة.

أرسل جنديّ ليزيد سرّ الملك العظيم. وأنا أسمي سرّاً ما يفهم

بالإيمان ولا يُستقصى بفضل المعرفة؛ سرّاً يُسجد له ولا يُفحص

بتدقيقٍ جدلي، أي سرّاً هو موضوع تأمل لاهوتي لا شيئاً يخضع

للقياس الدقيق.

النبي منذ سنوات كثيرة: «سيعطى هذا الكتاب المحتوم لإنسان لا يعرف القراءة»، فيقول: «لا أستطيع أن أقرأه». ولماذا لا تستطيع يا يوسف؟ فيجيب: «لا أستطيع أن أقرأه لأن الكتاب محتوم». ولن يُحفظ هذا؟ «إنه محفوظ مسكناً لخالق الكون».

لكن لِنَعُدْ إلى موضوعنا من جديد. «في الشهر السادس أرسل جبرائيل إلى العذراء»، وكان قد أخذ من الله أوامر تقارب هذا المعنى: «هيا إدا يا جبرائيل، رئيس الملائكة، فإني أرسلك حاملاً السرّ الرهيب المستور، لتخدم هذا العجب. إني، بدافع رأفتي، أحنّ إلى النزول من السماء لأطلب آدم الضال. لقد أوهنت الخطيئة الإنسان الذي جُبل على صورتي، وأفسدت صنعة يديّ، وطمست الجمال الذي كوّنته. الذئب يفترس خليقتي، وموضع آدم وذريته في الفردوس قد غدا خالياً، وشجرة الحياة تحرسها السيف النارية، وقد أغلق الآن موضع النعيم. إني أشتهي أن أرحم الإنسان المطارد من العدو إبليس، وأن أقبض عليه. وأريد أن يبقى هذا السرّ مكتوماً حتى عن سائر الطغمة السماوية، وإياك وحدك أستأمن عليه.

فامضِ إداً إلى العذراء مريم.

امضِ إلى المدينة الحية التي قال عنها النبي: «أُمُورٌ مَّجِيدَةٌ قِيلَتْ فِيكَ يَا مَدِينَةَ اللَّهِ.» (مز ٨٦: ٣).

امضِ إلى فردوسي العاقل،

امضِ إلى باب المشرق، امضِ إلى المسكن اللائق بكلمتي،

امضِ إلى السماء الثانية القائمة على الأرض،

امضِ إلى السحابة الخفيفة السريعة الحركة، وأعلّمها بمطر حضورني.

امضِ إلى المَكَانِ الْمُقَدَّسِ الَّذِي أُعِدَّ لِي،

امضِ إلى المخدع العرسي لتأنسي، امضِ إلى المخدع العرسي الطاهر لولادتي بحسب الجسد.

كلّم أذنيّ التابوت العاقل، وهَيّئْهُمَا لسماعي من غير أن تُفزعهُمَا، ولا أن تُفلقَ نفسَ العذراء. واطهّر باحتشام في هيكلتي الحيّ، وقل لها أولاً البشارة المفرحة. أنتَ قُلْ لمريم: افرحي يا ممتلئة نعمة، لكي أرحم حواء التي سقطت بالعصيان.

فلما سمع رئيس الملائكة هذه الأمور، أخذ - كما هو طبيعي - يحدث نفسه قائلاً: «إنّ هذا الأمر عجيب، وما قيل يفوق كلّ فكر. فالمرهوب في الشيروبيم، وغير المنظور لدى السيرافيم، وغير المدرك لدى جميع القوات السماوية، يعدّ باتصالٍ خاصّ مع هذه الفتاة، ويعلن حضوره الشخصي، بل بالحريّ يعدّ بدخول يتمّ عن طريق السمع! أليس ذلك الذي حكم على حواء إلى هذا الحدّ لكي يمجّد ابنتها كلّ هذا المجد؟ يقول: لِيَتَهَيَّأَ دخولي عبر السمع. ولكن هل يمكن لبطن بشري أن يسع غير المحدود؟ حقاً إنّ هذا السرّ مهيب!».

وبينما كان الملاك يفكر في هذه الأمور، قال له سيّده: «لماذا تضطرب وتتعجب يا جبرائيل؟ ألم أرسلك من قبل إلى الكاهن زكريا؟ ألم تنقل إليه البشارة بموليد يوحنا؟ ألم تفرض عقوبة الصمت على الكاهن الذي لم يؤمن بك؟ ألم تحكم على الشيخ بالبُكم؟ أليست أنت من أعلن ذلك وأنا تثبته؟ ألم تتبع بشارتك الحقيقة والحدث؟ ألم تجبل المرأة العاقر؟ ألم

يخضع رحمها لأمري؟ ألم يُشفَ مرضُ العقم؟ لم تنحسر عُقر الطبيعة؟ أليست التي كانت عاقراً فيما قبل تحمل الآن؟ فهل يوجد عندي أنا الخالق شيءٌ مستحيل؟ فكيف استولى عليك الشكّ إذن؟».

فماذا أحاب الملاك؟ قال: «أيها السيّد، إنّ شفاء الطبيعة من علّلتها، وتهدئة عاصفة أهواء البشر، وإعادة البشرية التي أصابها الموت إلى الحياة، وأن تأمر الطبيعة فتنجب امرأة عاقر، وأن تشفي العقر في أعضاء هرمة، وأن تحوّل قصبه يابسة هرمة إلى غصن أخضر ناضر، وأن تجعل الأرض العقيم فجأة ينبوعاً للثمار، كلّ هذه أمورٌ تتمّ دائماً بقوّتك. والشهود على ذلك كلّهم سارة ورفقة وحتّة، اللواتي، إذ كنّ مستعدات لمرض العقر المخيف، قد تحزّرن منك. أمّا أن تلد عذراء من دون مشاركة رجل، فهذا يتجاوز جميع قوانين الطبيعة، كما أنّه يعلن مسبقاً حضورك في تلك الفتاة. فأنت الذي لا تسعك أقطار السماء والأرض، كيف يسعك رحمٌ بتولي؟».

فأجاب السيّد قائلاً: «كيف وسعتني خيمة إبراهيم؟».

فقال الملاك: «لأنّ بحرًا عظيمًا من الضيافة كان هناك، يا سيّد، فقد ظهرت لإبراهيم، أي في خيمته القائمة عند الطريق، ومع ذلك فقد تجاوزتها، لأنّ حضورك يملأ كلّ شيء. فكيف سُدخل نار لاهوتك إلى مريم؟ إنّ عرشك متقدّم من مجدك، فكيف تستطيع العذراء، وهي طبيعة بشرية قابلة للاحتراق، أن تحتل حضورك الإلهي المهيب؟

فقال السيّد: «حقًا، لو أنّ النار في البريّة أضرت بالعليقة، لكان حضورني كذلك سيضرّ مريم. ولكن إن كانت تلك النار، التي كانت ترسم ظلّ حضور النار الإلهية النازلة من السماء، كانت تسقي العليقة وترويتها دون أن تحرقها، فماذا تقول عن الحقيقة التي تنزل من السماء، لا كلهيب نار، بل كمطر؟».

حينئذٍ نفذ الملاك الأمر الذي أعطي له، ولمّا مثّل أمام العذراء قال لها بفرح عظيم: «افرحي يا ممتلئة نعمة، الربّ معك». ومنذ الآن لن يكون الشيطان ضدّك بعد، لأنّ الموضوع الذي جرحه العدو في السابق، في هذا الموضوع عينه يضع طبيب الخلاص الآن أولاً ضمادّه. فمن حيث ظهر الموت، من هناك دخلت الحياة. ومن المرأة جاءت جميع المصائب، ولكن من المرأة أيضًا تفيض جميع الخيرات. افرحي يا ممتلئة نعمة، لا تخجلي كأنك سبب دينونة؛ بل ستصيرين أمًّا لذلك الذي دان الإنسان وافتداه. افرحي، أيتها الأمّ الطاهرة لعريس البشرية، المسيح. افرحي، يا من أغرقت في رحمك موت أمّ البشرية، أي حواء. افرحي، أيتها الهيكل الحيّ لله. افرحي، يا من صرت مسكناً للسماء والأرض معًا. افرحي، أيتها الموضوع الفسيح للطبيعة التي لا يُنطق بها».

ولمّا كانت الأمور كلّها هكذا، فمن أجلها جاء الطبيب للمرضى، «شمس البرّ» لكي يُنير الجالسين في الظلمة، والمرساء لكلّ المتعبين، والميناء الآمن. وُلد السيّد من أجل العبيد المبعوضين بلا مصالحة، وظهر رباط السلام، وبرز فادي العبيد الأسرى، وسلام الذين هم في حرب. «فهو سلامنا»، ذلك السلام الذي نسأل أن نناله جميعًا بنعمة ربّنا يسوع المسيح ومحَبّته للبشر، الذي له المجد والكرامة والقدره الآن وكلّ أوان وإلى دهر الداهرين. آمين.



بهذه الكلمات، أي بكلمات السؤال، أن يجدوا راحة من الظن السيئ. **فطمأن المخلص** نفوس أولئك الذين اضطربوا ظلمًا، وكشف في جوابه الشخص المجهول: «فَأَجَابَ وَقَالَ: الَّذِي يَعْصِمُ يَدَهُ مَعِيَ فِي الصَّحْفَةِ هُوَ يُسَلِّمُنِي! إِنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ مَاضٍ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَنْهُ، وَلَكِنْ وَيْلٌ لِدَلِكِ الرَّجُلِ الَّذِي بِهِ يُسَلِّمُ ابْنُ الْإِنْسَانِ. كَانَ خَيْرًا لِدَلِكِ الرَّجُلِ لَوْ لَمْ يُؤَلِّدْ!» (متى ٢٦: ٢٣-٢٤). وكان يُعِينُ ذاك الذي لم يُشفق على نفسه.

وظلَّ يُظهر اهتمامه بمن أهمل نفسه منذ زمن طويل، مانحًا إيَّاه أيضًا فرصة للتوبة، ومهددًا في الوقت نفسه قلق بقية التلاميذ.

لكنَّ الخائن لم يصبر أفضل حالًا على الإطلاق رغم كل ذلك.

كان ينبغي لذلك الرجل، بعد تلك الكلمات الرهيبة، أن ينهض فورًا ويغادر العشاء. وكان ينبغي له أن يطلب شفاعة التلاميذ، وأن يجثو على ركبتيه ويعانق **ركبتي المخلص** ويتوسل إليه بمثل هذه الكلمات: «لقد أخطأت يا محب البشر، أخطأت وتعديت إذ بعثت بثمر زهيد اللؤلؤة التي لا تُقدَّر بثمر. لقد تعديت إذ سلّمت مقابل مالٍ قليل الغنى الذي لا يُشترى. اغفر لي أنا التاجر بالخسارة والهلاك. اغفر لي لأن فكري استعبد للذهب. اغفر لي لأن الفريسيين خدعوني خداعًا بائسًا.»

لكنه لم يقل شيئًا من هذه الكلمات ولا خطر له شيء منها في فكره. بل على العكس، وبصوتٍ قاسٍ أظهر وقاحة نفسه قائلاً: «هَلْ أَنَا هُوَ يَا سَيِّدِي؟» (متى ٢٦: ٢٥).

يا لها من وقاحة لسان، ويا لها من نفسٍ قاسية! إنه يسأل وكأنه لا يعرف ما كان هو نفسه قد دبره، وكان يظنُّ أنّ ذلك يخفى عن نظر العين التي لا تنام. ففي نفسه كان يُضمّر المكر، أمّا بلسانه فكان ينطق بكلمات توحى بالجهل. ففي فكره ارتكب الخيانة، وبفمه كان - كما ظنَّ - يخفي الخطيئة. لقد استعمل الكلمات نفسها التي قالها

حقًا، إيّ لا أجد ما أقوله في هذا العيد المقدّس. فالعيد من جهة يدفع لساني إلى أن أدين يهوذا، أما **محبة المخلص** للبشر فترجع لساني إلى الوراء. وهكذا أجد نفسي مأخوذًا بهذين الأمرين معًا: بغض نحو الخائن، و**محبة للرب**. غير أن **المحبة تغلب** البغض، لأنها أعظم منه وأقوى. ولذلك، تاركًا جانبًا الحديث عن الخائن، أتوجّه إلى تمجيد المُحسنِ إلينا، لا كما يليقُ به، بل على قدر ما تسمحُ به قواي أن أسبّحه.

كيف ترك السماوات ونزل إلى الأرض؟ وكيف إنَّ ذاك الذي يملأ الخليقة كلها جاء إليّ، وصار من أجلي إنسانًا مثلي؟ وكيف اتَّخذ تلميذًا له ذاك الذي كان يعلم أنه سيصير خائنًا، وأذن لعدوّه أن يتبعه كصديق؟ وكيف لم تشغله الخيانة، بل كان **اهتمامه بخلاص** ذاك الذي سيخونه؟

لأنه، كما يقول الإنجيل: «وَلَمَّا كَانَ الْمَسَاءُ أَتَكَأَ مَعَ الْاِثْنَيْ عَشَرَ. وَبَيْنَمَا هُمْ يَأْكُلُونَ قَالَ: «الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ وَاحِدًا مِنْكُمْ يُسَلِّمُنِي» (متى ٢٦: ٢٠-٢١). لقد سبق فأعلن الخيانة لكي يمنع الإثم. وأعلنها دون أن يذكر شخص الخائن، لكن ذلك لم يستطع أن يردع إثم التلميذ؛ إذ كان الأمر خفيًا عن أولئك الذين كانوا جالسين معه على المائدة نفسها.

فمن رأى مثل **هذه المحبة للبشر عند سيّد؟ يُخَانُ وهو يُحِبُّ الخائن!** من يُهان ويُظهر رحمة؟ من يُباع ويجلس على المائدة نفسها مع التاجر الشرير، مُظهرًا كلَّ عنايته نحو ذاك الذي يتآمر عليه؟

«وَبَيْنَمَا كَانُوا يَأْكُلُونَ قَالَ: الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ وَاحِدًا مِنْكُمْ سَيُسَلِّمُنِي.» (متى ٢٦: ٢١). كان يأكل كإنسان، لكنّه كان يتكلّم عن المستقبل **كاله**. فمن أجلي يصنع ما يوافق طبيعتي البشرية.

ولمّا اضطرب جميع التلاميذ من هذه الكلمات، وقبّلوا توبيخات ضمائرهم المخيفة، تحوّلت ساعة العشاء إلى ساعة حزن، إذ أخذ كلُّ واحدٍ منهم يقول: «هَلْ أَنَا هُوَ يَا رَبُّ؟» (متى ٢٦: ٢٢). وكانوا يريدون

التلاميذ الآخرون، لكنه لم يستعمل السلوك نفسه؛ فمع أنه كان ذنبًا في نيّاته، أجاب بصوت الخراف.

فماذا أجاب المخلص إذًا؟ «أنت قلت» (متى ٢٥: ٢٦).

وبصوت مملوء طول أناةٍ وبجلمٍ عظيم، وبخ تمثيلية الشرير. وكان يستطيع بالحقيقة أن يقول له: «ماذا تقول أيها الدينء الشرير؟ ماذا تقول يا عبد المال، ويا الشريك الحقيقي للشيطان؟ أنتجرت أن تتظاهر بالجهل؟ أنتجرت أن تخفي ما لا يمكن أن يخفي؟ أما كنت أعلم حين كنت تدبر مكائلك الماكرة ضد اللاهوت؟ أما رأيتك بعين لاهوتي تزور رؤساء الكهنة؟ أما كنت أسمعك - وإن كنت غائبًا - حين قلت: «ماذا تُريدون أن تُعطوني وأنا أسلمته إليكم؟» (متى ٢٦: ١٥). أما أعرف أيضًا بكم بعني؟ فلماذا، بعد هذا التوبيخ، ما زلت تظهر الوقاحة عينها؟ ولماذا تحاول أن تستر ما تنوي أن تفعله؟ إن كل شيء مكشوف أمامي».

غير أن المسيح، مع أنه كان يستطيع أن يجيب هكذا، لم يتكلم بهذه الطريقة، بل تكلم ببساطة وبلا حقدٍ وبصلاح، قائلاً: «أنت قلت»، ليعلمنا بذلك كيف ينبغي أن نتصرف تجاه أعدائنا.

لكن، بعد كل هذا العلاج، ظلَّ يهوذا مريضًا؛ لا بسبب إهمال الطبيب، بل بسبب إهمال المريض نفسه. لأنَّ الرَّبَّ قدَّم له جميع أدوية الخلاص، أما هو فلم يُرد أن يقبلها، بل إذ لم يعرف سوى محبة المال، أحبَّ الذهب أكثر من المسيح، وصار محبوبًا ومقرَّبًا من أولئك الذين كانوا يعرضون عليه أجر الخيانة.

ملحوظة: يركِّز القديس يوحنا الذهبي الفم في هذه العظة على موضوع خيانة يهوذا، ولذلك يتجاوز بعض أحداث بستان جنسيمانى وينتقل مباشرة إلى مشهد القبلة، إذ يرى فيه ذروة فعل الخيانة في السرد الإنجيلي.

«ولما اقترب يهوذا قال للمسيح: «السَّلامُ يا سيِّدي! وقَبَّلَهُ» (متى ٢٦: ٤٩).

غريبٌ هو هذا الأسلوب في الخيانة، إذ ترافقه قبلةٌ وتحيَّة. فقال له يسوع: «يا صاحِب، لِمَاذَا جِئْتَ؟» (متى ٢٦: ٥٠). لماذا تقول لي «السَّلامُ» في حين أنك آثرت أن تُحزني؟ ولماذا تُظهر اهتمامك بي بالكلام بينما تجرحني بأعمالك؟ تدعوني معلمًا وأنت لست تلميذًا؟ لماذا تُبطل قوانين المحبة؟ ولماذا تجعل علامة السلام علامة للخيانة؟ من الذي قلَّده فعلت هذا؟ أجهذه الطريقة رأيت الزانية سابقًا تُقبَّل قدمي؟ أجهذه الطريقة رأيت الشياطين تخضع لي؟ إنِّي أعرف من ذلك على طريق القبلة الغادرة: إنَّ الشيطان هو الذي أوحى إليك بهذا الأسلوب في العناق، وأنت اقتنعت بكلام ذلك المستشار الشرير وتنقذ الآن مشيئته.

«يا صاحِب، لِمَاذَا جِئْتَ؟»

أتمم الآن الاتفاقات الشريرة التي عقدتها مع الفريسيين. نقذ عقد البيع. وقع ما أملتته أنت بنفسك. سلِّم ذلك الذي يسلم نفسه طوعًا. خذ الآن، مع كيس المال، كيس الظلم أيضًا. وارك مكانك للصَّ

الذي سيأخذه باعترافه، ذاك المكان الذي خسرت أنت بالخيانة.

«حِينَئِذٍ تَقَدَّمُوا وَأَلْقُوا الْأَيْدِي عَلَى يَسُوعَ وَأَمْسَكُوهُ» (متى ٢٦: ٥٠). وهكذا تتم تلك الكلمات النبوية: «أحاطوا بي مثل النَّحْلِ بِالْقَرَصِ، وَاشْتَعَلُوا كَمَا تَشْتَعِلُ الْأَشْوَاكُ فِي النَّارِ.» (مزمو ١١٧: ١٢)، وفي موضع آخر أيضًا: «أحاط بي كِلَابٌ كَثِيرُونَ، وَكَتَفَنِي ثِيْرَانٌ سَمَانٌ.» (مزمو ٢١: ١٣، ١٧). ومع ذلك، ما أعظم طول الأناة الذي يليق به وحده! ففي السماء لا تجرؤ الشيروبيم والسيرافيم أن تنظر إلى فيض مجده، ولذلك تغطي وجوهها بأجنحتها كما لو كانت بأيدي. أما على الأرض فكان يحتمل أن يقبض على جسده بأيدي أئمة.

أرايتم أيَّ ربِّ طويل الأناة ومحبِّ للبشر صرتم خدامًا له؟ فكونوا أنتم أيضًا هكذا تجاه أعدائكم، أي تجاه إخوتكم المشاركين لكم في خدمة الرَّبِّ، كما رأيتم الرَّبَّ يتصرَّف مع أعدائه. لأنكم أنتم أيضًا مدعوون إلى عشاءٍ روحي. وأنتم مزموون أن تجلسوا فيه مع الرَّبِّ. فلا يكن بينكم أحدٌ يسلك سلوك يهوذا. ليتقدَّم الجميع إلى المائدة المقدسة، مائدة الإفخارستيا، بطمأنينة وسلام. ولنسارع جميعًا إلى المخلص بضميرٍ نقي. لأنَّه هو صوم المؤمنين وهو أيضًا وليمتهم. وهو واهب الطعام وهو الطعام نفسه. وهو الراعي وهو الخروف. له المجد إلى دهر الدهور. آمين.

أقوال آباء الكنيسة عن محبة المال

«لأنَّ المسيح كان يعلم أنَّ يهوذا كان مُحبًّا للمال، وأنَّه سيهلك بسبب هذا العشق للفضة، لم يُعاقبه حينذاك، بل على العكس، ولكي يُلبِّئ شهوة قلبه، سلَّمه تدير أموال الفقراء، لكي يُشبع محبَّته للمال، فلا يبلغ إلى الهاوية المخيفة. فبشرَّ أصغر أراد أن يمنع الشرَّ الأكبر.»

القديس يوحنا الذهبي الفم

«إنَّ محبَّة المال هي سبب جميع الشرور: الطمع القبيح، والبخل، وقساوة القلب، وعدم الإيمان، وكرهية البشر، والسلب، والظلم، والجشع، والربا، والمكر، والكذب، والحنث باليمين، وكلَّ ما يشبه هذه الأمور. وبسبب محبَّة المال تُرتكب السرقات المقدسة، وأعمال اللصوصية، وكلَّ أنواع السرقة. وبسبب محبَّة المال يخون الإنسان وطنه، وقبل كلِّ شيء يخون كلُّ إنسانٍ نفسه.»

القديس غريغوريوس بالاماس

«إن كنت تُحبُّ الذهب (أي المال)، فأنت لا تُحبُّ المسيح. فإذا كنت لا تُحبُّ المسيح بل تُحبُّ الذهب، فتأمل مع من يجعلك هذا الطاغية شبيهًا: مع يهوذا، التلميذ غير الأمين، والصديق الذي ظهر خائنًا، والذي تصرَّف بشرِّ عظيم نحو السيِّد ربِّ الجميع، فسقط سقوطًا مُخزِّيًا من الإيمان ومن محبَّة ذلك الذي دعاه، وانطرح في هوة اليأس. فإذا تخاف من مثاله أنت أيضًا، فاسمعي واهرب من الذهب ومن محبَّته، لكي تستطيع أن تريح المسيح بمحبتك لنفسك. وإلا فأنت تعرف المكان الذي انتهى إليه يهوذا...»

القديس نيقيتاس السيثاتوس (Οσιος Νικήτας ο Στηθάτος)



الجمعة العظيمة المقدسة أنا عطشان

الأرشمندريت / الكاهن الأول خريستوس بوتيرينيس
كنيسة القديس جاورجيوس
بيرغوس ماليفيزيو - هيراكليون (كريت)

الجمعة العظيمة

«بَعْدَ هَذَا رَأَى يَسُوعُ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ قَدْ كَمَلَ، فَلِكَيْ يَتِمَّ الْكِتَابُ قَالَ: «أَنَا عَطْشَانٌ»» (يوحنا ١٩: ٢٨).

ربنا يسوع المسيح اليوم موجود على الصليب. الطبيعة تتألم. الأرض تغرق في الظلام وتلبس السواد. الصخور تنزل، وحجاب الهيكل ينشق. الملائكة ينوحون ويقولون للناس: ابكوا أنتم أيضاً على المسيح. ست ساعات بقي الرب على خشبة الصليب (١). عذابه لا يوصف. لكن حتى في ساعة الألم لم يفقد صفاء ذهنه. الأصدقاء والأعداء جميعهم مروا في فكره. تذكّرهم جميعاً بمحبة لا نهاية لها.

تذكر أمه، والدة الإله، وسلّمها إلى يوحنا بقوله: «هُؤَذَا أُمَّكَ» (يوحنا ١٩: ٢٧). وتذكر أيضاً صالبيه وقال: «يَا أَبْنَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ، لِأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ» (لوقا ٢٣: ٣٤). لكن ساعة الموت تقترب. حياة المسيح تذوب كما تذوب الشمعة وهي تحترق. والصابليون يرون عذابه ويشتمون بآلامه. حينئذ يفتح المسيح شفثيه ويقول: «أَنَا عَطْشَانٌ» (يوحنا ١٩: ٢٨). هذه الكلمة أردت أن أتخذها موضوعاً. تعالوا ندرسها. أطلب معونة المصلوب واتبهاكم أنتم. يا مسيحيين، أعينوني. «أَنَا عَطْشَانٌ».

منذ الساعة التي ألقى القبض عليه فيها في جثسيماني حتى اللحظة التي قال فيها هذه الكلمة، احتمل المسيح عذابات لا تحصى. ومع ذلك لم يفتح فمه ليشتكي من شيء، بل بقي صامتاً مثل حملٍ وديع. وعندما وضعوا على رأسه إكليل الشوك لم يقل: «آه يا رأسي!». وعندما ضربه بالسوط لم يقل: «آه يا ظهري!». وعندما كانوا يسمرونه لم يقل: «آه يا قدمي، آه يا يدي!». لكن الآن، عندما تقترب النهاية، يقول: «أَنَا عَطْشَانٌ». إنه احتياجٌ للجسد.

لكنه، قبل كل شيء، ألم النفس في صرخة: «أَنَا عَطْشَانٌ». من هو العطشان؟ ذاك الذي خلق الماء ومجماعه: الأبحر والسحب، والبحار

والحيطات، والينابيع والبحيرات، والأنهار والجداول؛ كلها أعماله. إذا أصدَرَ أمراً واحداً تصيرُ البحارُ يابسةً، وينكشِفُ قَاعُ المُحيطَاتِ، وَيَجْفُ الْيَنَابِيعُ، ومُوتُ النَّاسِ. وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ خَالِقَ الْمَاءِ يَعْطِشُ. «أَنَا عَطْشَانٌ». من الذي يقول هذا؟ ذاك الذي يمطر على الأبرار والظالمين، ذاك الذي يسقي حتى الشرير، ذاك الذي يُعش الأزهار والعشب، ذاك الذي يقدم الماء مجاناً للجميع.

وما هو الآن يعطش. «أَنَا عَطْشَانٌ». ولما يقول هذا؟ لليهود الذين مع الجنود الغرباء يجيطون بالصليب. هؤلاء كان لهم سبب خاص ليشكروه. هم أيضاً عطشوا يوماً ما، وقالوا هم أيضاً: «نحن عطشنى». أين؟ ومتى؟ عندما كانوا يعبرون صحراء سيناء (٢). لم تكن هناك قطرة ماء. فركضوا إلى موسى قائلين: «نحن عطشنى، أعطنا ماء، تملك!». فصلى موسى إلى الله، فأمره الله أن يضرب صخرة بعصاه. فصارت الصخرة ينبوعاً. (خروج ١٧: ٣-٦).

وقد سقاهم ماءً كثيراً. من؟ ذاك الذي يصرخ الآن «أَنَا عَطْشَانٌ». عندما صرخوا هم «نحن عطشنى» أعطاهم المسيح ماءً، أمّا الآن حين يقول المسيح «أَنَا عَطْشَانٌ» فلا يوجد واحدٌ منهم يقدم له قليلاً من الماء يخفف عطشه. يا لعدم شكركم أيها اليهود! «بدل المنّ مرارة، وبدل الماء خلاً». «أَنَا عَطْشَانٌ». ومن الطبيعي أن يعطش المسيح. لأنه إله كاملٌ وإنسانٌ كاملٌ ما خلا الخطيئة، وبما أنه إنسانٌ كاملٌ فله الاحتياجات التي لنا نحن أيضاً. وهكذا سفك دم الزكي الذي لا يئتمن ليروي الأرض، أرض الجلجثة.

وكجريح، وكمسافر متعب، يصرخ: «أَنَا عَطْشَانٌ». لكن صوته «صوت صاخر في البرية» (مت ٣: ٣). والصابليون لا يفكرون في تخفيف ألمه. بل على العكس، يطلب ماءً، وهم يقدمون له خلاً ممزوجاً بمرارة. لكن كلمة «أَنَا عَطْشَانٌ» لا تعبّر عن حاجة جسدية فقط. ليس جسد المسيح وحده الذي يعطش، بل نفسه أيضاً. «أَنَا عَطْشَانٌ». إلى ماذا تعطش نفس المسيح؟ تعطش إلى بّر البشر وخلصهم. هو نفسه

قال: «طُوبَى لِلْجِيَاعِ وَالْعَطَشِ إِلَى الْبِرِّ» (مت ٥ : ٦).

مَنْ أَحَبَّ الْعَدْلَ مِثْلَ الْمَسِيحِ؟ ومع ذلك صار أوّل ضحية لأفسي ظلم. حُكْمه يبقى وصمة أبدية في عدالة البشر. تعلّموا العدل يا سكان الأرض. «لأنّنا حينما نكونُ أحكامك في الأرض يتعلّم سكّانُ الْمَسْكُونَةِ الْعَدْلَ» (إشعيا ٢٦: ٩). لكن أين العدل؟ من فوق الصليب اليوم يُلقِي نظرتَه الإلهية إلى أرض الظلم، فأسمع صوته يقول: «أنا عَطَشَانُ». إنه يعطش إلى العدل، غير أن حكّام الشعوب يسدّون آذانهم أكثر مما فعل اليهود.

«أنا عَطَشَانُ». يعطش إلى ماذا؟ إلى السلام. هو نفسه قال: «طُوبَى لِصَانِعِي السَّلَامِ» (مت ٥: ٩)، وأمر كنيسة أن تصلّي «مَنْ أَجْلِ سَلَامِ الْعَالَمِ كُلِّهِ». قلبه العظيم يعطش إلى السلام. لكن بدل السلام يجد اضطرابًا وضجيجًا. الأمم تستعد للحرب، وتشهد سكاكينها على حجر الكراهية، وتجري بلا توقف في طريق الدم.

المسيح لا يجد ما يطلبه، ويواصل أن يصرخ في هذا العالم الهائج: أنا عطشان إلى السلام! «أنا عَطَشَانُ». إلى ماذا يعطش؟ يعطش إلى المحبة. لكن أين المحبة؟ أزهار المحبة صارت نادرة في عالمنا الأناني. الكراهية تنتشر، وصارت الأرض كالصقيع، والبرد القارس يسود. **والمسيح** يرى جبال الحديد في القلوب ويصرخ: أيها العالم، أنا عطشان وإلى المحبة! «أنا عَطَشَانُ». إلى ماذا يعطش؟ إلى قداسة النفوس والأجساد. هو نفسه قال: «طُوبَى لِلْآتِقِيَاءِ الْقَلْبِ، لِأَنَّهُمْ يُعَايِنُونَ اللَّهَ.» (مت ٥ : ٨).

لكن أين القداسة؟ أين البتولية؟ أين طهارة الأخلاق؟ في كلّ مكان ترتفع معابد أفروديت ومذابح باخوس (٣). العالم يعبد الجسد لا الروح. «كلهم قد زاغوا جميعًا والتطخوا، وليس من يعمل صلاحًا، ليس ولا واحد.» (مز ١٣: ٣). الشباب يسقط في رذائل الفساد، والروح تُستعبد، والجسد يشمخ متباهيًا. **والمسيح** الذي يرى من الصليب هذه القذارة يصرخ: أيها العالم، أنا عطشان إلى القداسة والطهارة! «أنا عَطَشَانُ». إلى ماذا يعطش؟

إلى الحق والصدق في أقوالنا ومشاعرنا. قال: «أنا هو الطريق والحق» و«والحق يُحرِّككم» (يو ١٤: ٦؛ ٨: ٣٢). لكن أين هذا؟ الجميع اليوم يلبسون قناع الرياء. أرى نساء يقرآن كتبًا دينية، ويرسمن إشارات صليب كبيرة، ويتكلمن - بل يثرثن - عن الله، لكنهن يبقين في الكلام فقط. الأعمال صفر، تينات بلا ثمر. لقد نسين **كلمات المسيح**: «لَيْسَ كُلُّ مَنْ يَقُولُ لِي: يَا رَبِّ، يَا رَبِّ! يَدْخُلُ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ» (مت ٧ : ٢١).

والأمر نفسه ينطبق على الرجال. **والمسيح** يرى أقنعة الرياء ويصرخ: أيها العالم، أنا عطشان إلى الحق والصدق! «أنا عَطَشَانُ». إلى ماذا يعطش؟ إلى خلاص نفسك. منذ سنوات ينتظر **المسيح**، لكنك تواصل طريق الخطيئة. قف لحظة واستمع إليه. إنه يناديك: أيها الخاطيء، أنا عطشان إلى خلاصك. من أجل هذا لبستُ إكليل الشوك، ومن أجل هذا صعدتُ إلى الصليب.

أيها الأخ الشريك في الخطيئة! لو كنت واقفًا تحت الصليب وسمعت **المسيح** يصرخ «أنا عَطَشَانُ» لكنك بلا شك تجري لتقدّم له كأس ماء.

لكنه اليوم أيضًا يصرخ الشيء نفسه: «أنا عَطَشَانُ». يعطش إلى العدل، إلى السلام، إلى المحبة، إلى القداسة، إلى الحق والصدق، إلى خلاص النفوس. فلا نبق غير مبالين بصوته. من يظلم، ومن يبعث، ويحسد، ومن يتدحرج في وحل الفجور، ومن يعيش في الرياء والكذب، ومن يبقى بلا توبة في الخطيئة، فليقدّم له اليوم **دمعة توبة**. هذا قبل كل شيء ما ينتظره **المسيح**، وهذه تكون له فرحًا عظيمًا لا يُوصَف.

أيُّها **الفادي المصلوب!** لقد عطشت، وأعطاك صالبوك مرارة وخلا. وأنت تعطش اليوم أيضًا، لكن في أرضنا جفّت ينابيع الخير. لا يوجد إلا جداول صغيرة من اللطف والفضيلة وسط صحراء هذا العالم. أعطنا نعمتك لكي تصير هذه الجداول أنهارًا عظيمة، ولكي تصير الصحراء فردوس عدن، ولكي يسود في كل مكان **الحب والعدل والسلام والقداسة والبتولية**. اجعل راية **الصليب** ترفرف في كل مكان. وأطفئ في داخلنا كل عطش الخطيئة، وأشعل في قلوبنا ذلك **العطش إلى القداسة الذي شعرت به أنت عندما صرخت من على الصليب: «أنا عَطَشَانُ».**

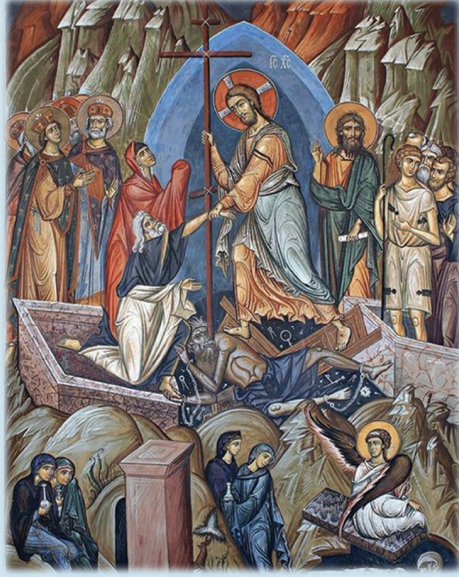
(١) **ملحوظة:** (١) ساعة الصلب: في إنجيل مرقس: «وكانت الساعة الثالثة فصوله» (مر ١٥: ٢٥). الساعة الثالثة في الحساب اليهودي ≈ الساعة صباحًا. (٢) **الظلام:** في إنجيل متى وإنجيل مرقس وإنجيل لوقا: «ومن الساعة السادسة كانت ظلمة على كل الأرض إلى الساعة التاسعة» (متى ٢٧: ٤٥). أي: الساعة السادسة ≈ الساعة ١٢ ظهرًا. الساعة التاسعة ≈ الساعة ٣ بعد الظهر. (٣) **لحظة الموت:** ثم عند الساعة التاسعة تقريبًا صرخ **المسيح** وأسلم الروح. إذا المدة التقريبية على **الصليب** ≈ ٦ ساعات. وهكذا امتدّ زمن آلامه على **الصليب** نحو ست ساعات، من الصباح إلى ما بعد الظهر، حيث أسلم الروح من أجل خلاص العالم.

(٢) **ملحوظة:** في البرية صرخ موسى إلى الله من أجل الماء للشعب، فأخرج الرب ماءً من الصخرة. «وَعَطَشَ هُنَاكَ الشَّعْبُ إِلَى الْمَاءِ، فَتَدَمَّرَ الشَّعْبُ عَلَى مُوسَى وَقَالُوا: لِمَاذَا أَصْعَدْتَنَا مِنْ مِصْرَ لِنَمِيْتَنَا وَأَوْلَادَنَا وَمَوَاشِينَا بِالْعَطَشِ؟ فَصَرَخَ مُوسَى إِلَى الرَّبِّ قَائِلًا: مَاذَا أَفْعَلُ بِهَذَا الشَّعْبِ؟ بَعْدَ قَلِيلٍ يَرْجُمُونِي!» (خروج ١٧: ٣-٤). ثم يأتي جواب الرب: «هَا أَنَا أَفْأَمَامَكَ هُنَاكَ عَلَى الصَّخْرَةِ فِي حُورَيْبٍ، فَتَضْرِبُ الصَّخْرَةَ فَيَخْرُجُ مِنْهَا مَاءٌ لِيَشْرَبَ الشَّعْبُ.» (خروج ١٧: ٦). أمّا على الصليب فالمسيح نفسه يقول: «أنا عطشان.» فالذي فجر الماء من صخرة حوريب في سيناء هو نفسه الذي قبل العطش على صليب الجلجثة من أجل خلاص الإنسان. أي أن الماء الخارج من الصخرة رمز للمسيح الذي يروي العالم. «وَجَمِيعُهُمْ شَرِبُوا شَرَابًا وَاحِدًا رُوحِيًّا، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَشْرَبُونَ مِنْ صَخْرَةٍ رُوحِيَّةٍ تَابِعَةٍ، وَالصَّخْرَةُ كَانَتْ الْمَسِيحَ.» (١ كور ١٠: ٤).

(٣) **ملحوظة:** أفروديت هي إلهة الحب والجمال في الأساطير اليونانية، وترمز إلى الشهوة والفساد الأخلاقي. أمّا باخوس (ديونيسوس) فهو إله الخمر واللهو عند اليونان والرومان، وترمز عبادته إلى السكر والانحلال. ويستعمل الكاتب هذين الاسمين هنا للدلالة على انتشار عبادة الجسد والملذّات والانغماس في مستنقعات الرذيلة، بدل الطهارة الروحية.



الفصح المجيد المقدس



لأعرفه وقوة قيامته

(فيلبي 3: 10)

عظة للقديس يوحنا الذهبي الفم

التسميات، وأدخل إلى حياتنا طريقة جديدة وغريبة. لذلك، بدل أن يُقال «موت»، صار يُسمى من الآن فصاعدًا «رُقادًا» و«نومًا» ذلك الرحيل عن هذه الحياة الحاضرة.

ومن أين يظهر هذا؟ اسم **المسيح نفسه** يقول: «لِعَارِزٍ حَيِينَا قَدْ نَامَ. لِكَيْ أَدْهَبَ لِأَوْقَظَةَ» (يو 11: 11). فكما أنه يسهل علينا أن نوقظ ونقيم ذاك الذي ينام، هكذا يسهل على **ربنا** جميعًا أن يقيم ميتًا. ولأن كلماته كانت جديدة وغريبة، لم يفهمها التلاميذ، لذلك انحنى إلى ضعفهم وعبر عن الأمر لهم بوضوح أكبر. وكذلك **معلم المسكونة، الطوباوي بولس**، إذ يكتب إلى أهل تسالونيكي يقول: «تَمَّ لَا أُرِيدُ أَنْ تَجْهَلُوا أَيُّهَا الإِخْوَةُ مِنْ جِهَةِ الرَّاقِدِينَ، لِكَيْ لَا تَحْزِنُوا كَالْبَاقِينَ الَّذِينَ لَا رَجَاءَ لَهُمْ.» (1 تس 4: 13). ويقول في موضع آخر أيضًا: «إِذَا الَّذِينَ رَقَدُوا فِي الْمَسِيحِ أَيْضًا هَلَكُوا!» (1 كو 15: 18). ويقول أيضًا: «نَحْنُ الأَحْيَاءُ البَاقِينَ إِلَى مَجِيءِ الرَّبِّ، لَا نَسْبِقُ الرَّاقِدِينَ» (1 تس 4: 15). ويقول أيضًا: «لَأَنَّهُ إِنْ كُنَّا نُؤْمِنُ أَنَّ يَسُوعَ مَاتَ وَقَامَ، فَكَذَلِكَ الرَّاقِدُونَ بِيسُوعَ، سَيُحْضِرُهُمُ اللهُ أَيْضًا مَعَهُ.» (1 تس 4: 14).

أرأيت كيف أن الموت منذ ذلك الحين صار يُسمى في كلِّ موضع **رُقادًا ونومًا**؟ وكيف أن ذلك الذي كان اسمه من قبل مخيفًا صار الآن مُحْتَقَرًا **بعد القيامة**؟ أرأيت كم هو **مجيد نُصَبُ الظفر بالقيامة**؟ فيها جاءت إلينا الخيرات التي لا تُحصى، وبها انحَلَّ خداع الشياطين، وبها نخرأ بالموت. بالقيامة نحتقر هذه الحياة الحاضرة، وبها نشاق بشدة إلى الخيرات الآتية. وبها، مع أننا نحمل جسدًا، لا يكون لنا شيءٌ أقلُّ من القوَّات غير المتجسِّدة، إن نحن أردنا ذلك. اليوم تحقَّق نصرنا المُشرق. اليوم ربُّنا، بعد أن أقام نُصَبُ ظفره على الموت وحطَّم سلطان إبليس، وهبنا بقيامته الطريق إلى خلاصنا. فلنفرح جميعًا إدا، ولنتهلَّل، ولنمتلئ سرورًا. لأنه، وإن كان **ربُّنا** هو الذي انتصر **وأقام نُصَبُ الظفر**، فإن الفرح والابتهاج هما لنا. لأنه صنع كلَّ شيءٍ من أجل خلاصنا،

إنَّه لوقتٌ مناسبٌ اليوم أن نصرخ جميعًا بتلك الكلمات التي قالها الطوباوي داود: «مَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُحَدِّثَ بِقُوَّةِ الرَّبِّ، وَأَنْ يُذِيعَ جَمِيعَ تَسَابِيحِهِ؟» (مز 105: 2). فها قد بلغنا العيد المشتاق إلينا والخالصي، **يوم قيامة ربنا يسوع المسيح**؛ الأساس للسلام، والسبب للمصالحة، وزوال الحروب، وبطلان الموت، وهزيمة إبليس. اليوم امتزج البشر بالملائكة، والذين لهم جسد يرفعون تمجيدهم مع القوَّات غير المتجسِّدة. اليوم تُبطل سلطة إبليس، اليوم انحلت قيود الموت، وزالت غلبة الجحيم. اليوم هو الوقت لنقول تلك الكلمات النبويَّة: «أَيُّنَ شَوْكَتِكَ يَا مَوْتُ؟ أَيُّنَ غَلْبَتِكَ يَا هَاوِيَّةُ؟» (1 كو 15: 55). اليوم **حطَّم ربنا المسيح الأبواب النحاسية**، وأبطل الموت نفسه.

ولماذا أقول إنَّه أبطل الموت نفسه؟ لقد تغيَّر اسمه؛ فلم يعد يُدعى بعدُ موتًا، بل **رُقادًا ونومًا**. لأنَّه قبل **مجيء المسيح** واهتمامه بالإنسان بصلبه من أجله، كان حتى اسم الموت نفسه مرعبًا. فالإنسان الأول، بعد أن خُلِق، كان يُحكم عليه أن يسمع هذا القول كعقاب عظيم: «لَأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ» (تك 2: 17). وكذلك **الطوباوي أيوب** سمَّاه بهذا الاسم قائلاً: «الموت راحةٌ للإنسان» (أي 3: 23). وكان النبي **داود** يقول: «مَوْتُ الحُطَّاءِ رَدِيءٌ» (مز 33: 22). ولم يكن انفصال النفس عن الجسد وحده يُسمَّى موتًا، بل كان يُسمَّى أيضًا الهاوية. فاسمع إذا البطريك يعقوب يقول: «تُنزَلُونَ شَيْبَتِي بِحُزْنٍ إِلَى الهَاوِيَّةِ» (تك 42: 38). واسمع أيضًا النبي يقول: «قد وسَّعت الهاوية فمها جدًّا» (إش 5: 14). **ملحوظة**: في العهد القديم الموت = راحة من تعب الحياة، أما بعد المسيح، الموت = رقاد يسبق القيامة.

واسمع أيضًا نبيًا آخر يقول: «سيخَلِّصُنِي مِنَ الهَاوِيَةِ السُّفْلَى» (مز 85: 13). وفي مواضع كثيرة من العهد القديم تجد أن الرحيل عن هذه الحياة الحاضرة يُسمَّى موتًا وهاوية. أمَّا منذ أن قَدَّمَ **المسيح**، **إلينا**، نفسه ذبيحة وقام من بين الأموات، فقد أزال **الرَّبُّ المحبُّ للبشر** حتى هذه

وبالأدوات نفسها التي حاربنا بها إبليس، بما عينها **عَلْبَةُ الْمَسِيحِ**.

إِنَّ الْمَسِيحَ أخذ الأسلحة نفسها، وبها عَلْبُهُ. وسمع بأيّ طريقة. كانت **العذراء والخشبة والموت رموز هزيمتنا**. فالحق أن **حَوَاءَ كَانَتْ عَذْرَاءَ**، إذ لم تكن قد عرفت رجلاً بعد حين خُدعت. وكانت الخشبة هي الشجرة، وكان الموت هو العقاب الذي نزل بآدم. أرايت كيف أن رموز هزيمتنا كانت: **العذراء والخشبة والموت**؟ فانتبه الآن كيف صارت هذه نفسها أدوات نصرنا. فبدل **حَوَاءَ صَارَتْ مَرْيَمَ**، وبدل خشبة شجرة معرفة الخير والشر صارت **خشبة الصليب**، وبدل موت آدم صار **موت الرَّبِّ**. أرايت كيف أن الذي به عَلَبْنَا، به عينه عَلَبَ؟ عند الشجرة عَلَبَ الشيطان آدم. **عند الصليب ظفر المسيح بالشيطان**.

فالشجرة الأولى كانت تُنزل الإنسان إلى الهاوية (**آدم**)، أما هذه الشجرة، أي **خشبة الصليب**، فقد أعادت من الهاوية أيضاً الذين ماتوا (**بالمسيح**). تلك أخفت المهزوم أسيراً وعارياً (**آدم**)، أما هذه فأظهرت للجميع المنتصر عارياً، مرفوعاً ومسمراً في العلاء (**المسيح**). وكان موث (**آدم**) قد جرّ الحكم على الذين جاؤوا بعده، أما موث (**المسيح**) فقد أقام حقاً حتى الذين سبقوه. «**مَنْ يُحَدِّثُ بِجَبْرُوتِ الرَّبِّ، وَيُسْمَعُ بِكُلِّ تَسَابِيحِهِ؟**» (مز ١٠٥: ٢). **فَفِعَلِ الصَّلِيبِ صِرْتًا مِنْ فَاثِنِينَ خَالِدِينَ، وَمِنْ أَمْوَاتٍ فَاثِمِينَ، وَمِنْ مَغْلُوبِينَ غَالِبِينَ**.

هذه هي **أعمال الصليب الجيدة**، وهذه أعظم برهانٍ على **القيامة**. اليوم ترقص الملائكة طرباً، وتبتهج جميع القوات السماوية، لأنها تفرح بخلاص الجنس البشري كله. فإذا كان يحدث فرح في السماء وعلى الأرض عندما يتوب خاطئ واحد، فكم بالحري يكون الفرح أعظم من أجل خلاص المسكونة كلها! اليوم، بعدما حرّ الجنس البشري من سلطان إبليس، أعاده من جديد إلى كرامته الأولى. لذلك، حين أرى أن تقدمتنا المختارة قد غلبت الموت إلى هذا الحد، لم أعد أخاف، ولم أعد أرتعب من الحرب. فأنا لا أنظر إلى ضعفي، بل ألتفت إلى قوّة ذاك الذي لا تُوصف، والذي سيصير نصيري. لأن الذي **غلب سلطان الموت وجرده من كل قوته**، ماذا لن يصنع بعد الآن لأجل الجنس البشري، والذي رأى من فرط محبته للبشر؛ أنه أهلٌ لأن يأخذ صورته، وبها دخل في صراع مع إبليس وغلبه؟. اليوم يسود الفرحة والابتهاج الروحي في المسكونة كلها. اليوم يبتهج جميع الملائكة وكل القوات السماوية بخلاص البشر. تأمل إذن، أيها الحبيب، كم هو عظيم هذا الفرحة، ما دامت القوات السماوية نفسها تعيّد معنا، لأنها تفرح معنا بخيراتنا. فمع أنّ النعمة التي **منحها الرَّبُّ** هي لنا، إلّا أنّ فرحها هو لهم أيضاً. لذلك لا يحتفلوا يحتفلوا معنا؟ **إِنَّ الرَّبَّ نَفْسَهُ**، الذي هو **رَبُّنَا**، لا يحتفل أن يعيد معنا. ولماذا قلتُ إنه لا يحتفل؟ بل إنه يشترك أن يحتفل معنا. ومن أين يظهر ذلك؟ اسمعه هو نفسه يقول: «**شَهْوَةٌ اشْتَهَيْتُ أَنْ أَكُلَ هَذَا الْفِصْحَ مَعَكُمْ**» (لو ٢٢: ١٥). فإذا كان قد اشتهى أن يأكل الفصح، فمن الواضح أنه يشتهي أيضاً أن يعيّد معنا. فإذا رأيت أنّ **ليس الملائكة وجميع القوات السماوية وحدهم يعيّدون معنا**، بل حتى **رب الملائكة نفسه**، فماذا ينقصك بعد لكي **تفرح فرحاً عظيماً؟** فلا يكن أحدٌ اليوم

حزيناً بسبب فقره، لأن هذا اليوم هو **عيدٌ روحي**.

فلا يتكبّر غنيٌ بسبب غناه، لأنّه لا يستطيع أن يقدم شيئاً في هذا العيد من أمواله. ففي الأعياد التي تقام خارج الكنيسة، أعني الأعياد الدنيوية، حيث يُبالغ الناس في إظهار المظاهر، سواء في اللباس الفاخر أو في موائد الطعام المترفة، يكون من الطبيعي هناك أن يكون الفقير منقبضاً حزيناً، والغني مسروراً راضياً. ولماذا؟ لأن الغني يلبس الثياب البهيّة ويقدم موائد أغني، أما الفقير فتمنعه فقره من أن يظهر الكرم نفسه. أما هنا فلا يحدث شيء من ذلك، إذ تزول كل هذه الفوارق، ويكون هناك **مائدة واحدة** للغني والفقير، وللعبد والحرّ. فإن كنت غنياً فلا تملك شيئاً أكثر من الفقير، وإن كنت فقيراً فلا ينقصك شيء عن الغني، ولن ينقص من وليمتك الروحيّة شيء بسبب فقرك. لأن **النعمة هي من الله**، وهي لا تميّز بين الأشخاص. ولماذا أقول إن المائدة نفسها موضوعة أمام الغني والفقير؟ إنها موضوعة أيضاً أمام من يلبس التاج الملكي ويرتدي الأرجوان، ذاك الذي بيده سلطان المسكونة، كما هي موضوعة أمام الفقير الجالس يستعطي الصدقة؛ **فالمائدة هي هي للجميع**.

هكذا هي العطايا الروحيّة: فهي لا تُقسّم الشركة بحسب مزاج كل إنسان أو أفكاره. بل إنّ الملك والفقير يندفعان معاً، وبالجرأة نفسها والكرامة عينها، لكي يتمتعا **بهذه الأسرار الإلهية** ويشتركا فيها. ولماذا أقول: بالكرامة نفسها؟ كثيراً ما يأتي الفقير بجرأة أعظم. ولماذا يحدث ذلك؟ لأنّ الملك، إذ يكون محاطاً بالهموم ومتقلّباً بكثرة القضايا، كأنّه في بحرٍ هائج، تضربه الأمواج من كل جهة بلا انقطاع، فغمره الخطايا الكثيرة. أما الفقير، وقد تحرّر من كل هذه الاضطرابات، مكثفياً بالاهتمام بقوت يومه الضروري، فيعيش حياة هادئة مطمئنة، كأنّه جالس في ميناءٍ ساكنٍ وهدوء؛ ولذلك يقرب **بخشوعٍ عظيمٍ من المائدة المقدّسة**.

وليس هذا فقط، بل إنّ كثيراً من الضيقات تنشأ أيضاً عند أولئك الذين ينشغلون بالأعياد الدنيويّة. فهناك يكون الفقير حزيناً ومنقبضاً، بينما يكون الغني فرحاً ومسروراً، لا بسبب المائدة وما عليها من ترفٍ فحسب، بل أيضاً بسبب الثياب الفاخرة والمظاهر الباذخة. فما يحدث عند المائدة يحدث أيضاً في الثياب. فعندما يرى الفقير الغني مرتدياً لباساً أوفر، تستولي عليه غمّة عظيمة، ويحسب نفسه بائساً، وينطلق لسانه بكثير من التذمّر واللعنات. أما هنا فحتى هذا الحزن يزول، لأنّ **لباس الخلاص واحد للجميع**. ولهذا **يهتف الرسول بولس قائلاً: «لأنّ كلُّكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح»** (غلاطية ٣: ٢٧).

فلنحذر إذن، أرجوكم، أن تُهين هذا العيد، بل لنقتن فكرياً يليق بالعطايا التي منحتنا إياها **نعمة المسيح**. فلا نسلم أنفسنا للسكر وكثرة الأكل، بل إذ **ندرك سخاء ربنا**، وأنه **أكرم على السوء الغني والفقير، والعبد والحرّ**، وأرسل إلى الجميع **النعمة عينها**، فلنحاز هذا المُحسن على محبته التي يُظهرها لنا. وأفضل جزاء نقدّمه له هو **سيرة ترضيه ونفس يقظة ساهرة**. فهذا العيد وهذه الإحتفاليّة لا تحتاج إلى أموالٍ ولا إلى نفقاتٍ. بل إلى **نية صالحة وفكرٍ نقي**. إذ لا نستفيد هنا من الأمور المادّية شيئاً، بل من الأمور الروحيّة كلّها: من **سماع كلمة الله**، ومن

صلوات الآباء، ومن بركات الكهنة، ومن الاشتراك في الأسرار الإلهية المقدسة، ومن السلام والوئام، ومن المواهب الروحية التي تليق بسخاء ذلك الذي يمنحها.

فلنعيّد إذن هذا العيد الذي فيه قام الربُّ. لأنه قام وأقام معه المسكونة كلها. فقد قام هو بعدما كسر قيود الموت، أمّا نحن فأقامنا إذ بدد أكوام خطايانا. أخطأ آدم فمات، أمّا المسيح فلم يخطئ ومع ذلك مات. أمرٌ جديد وعجيب: ذاك أخطأ ومات، وأمّا هذا فلم يخطئ ومع ذلك مات. ولماذا حدث ذلك ولأي غاية؟ لكي يتحرّر ذاك الذي أخطأ ومات من قيود الموت بفضل ذاك الذي لم يخطئ ومات. وهكذا يحدث كثيرًا أيضًا بين الناس في مسألة الديون: قد يكون إنسان مدينًا لآخر بمال ولا يستطيع أن يرده، فيلقَى في السجن. ثم يأتي شخص آخر غير مدين، لكنه قادر على دفع الدين، فيدفعه ويحرّر المدين. هكذا حدث أيضًا مع آدم والمسيح: كان آدم مدينًا بالموت، وكان الشيطان يمسكه أسيرًا. أمّا المسيح فلم يكن مدينًا بشيء، ولم يكن الشيطان قادرًا أن يمسكه. لكنه جاء وقدم موته عن الأسير، لكي يحرره من قيود الموت. أفرأيت أعمال القيامة العجيبة؟ أفرأيت محبة الربِّ للبشر؟ أفرأيت عظمة عنايته؟

فلنحذر إذن أن نكون جاحدين لهذا المُحسن العظيم، وألا نُصبح أكثر تراخيًا لمجرّد أنّ الصوم قد انتهى. بل ينبغي لنا الآن أن نعني بنفوسنا أكثر مما كنا من قبل، لئلا تضعف النفس حين يسمن الجسد، ولا نهمل السيّدة - أي النفس - بينما ننشغل بالعبادة بالخادمة، أي الجسد.. فقل لي: ما الفائدة من أن نكاد نخنق من كثرة الأكل ونتجاوز حدّ الاعتدال؟ إنّ هذا يفسد الجسد ويؤذي أيضًا نبل النفس. فلنكتفِ إذن بالقليل والضروري، حتى نؤدّي ما يجب لكلّ من النفس والجسد، ولا نبدد بسرعة ما جمعناه من ثمار الصوم. فهل أمتنعكم بذلك من التمتع بالطعام أو من الفرح؟ كلاً، لا أمتنع هذا، بل أنصح أن يقتصر الأمر على ما هو ضروري، وأن نكفّ عن الإفراط في اللهو، فلا نفسد صحّة نفوسنا بتجاوز الحدّ. لأنّ من يتعدّى حدود الحاجة لا ينال لذّة حقيقيّة، وهذا يعلمه جيّدًا الذين جرّبوا ذلك، إذ يجلبون لأنفسهم أمراضًا كثيرة ويتحملون بسببها همومًا كثيرة. أمّا أنكم ستصغون إلى نصائحي، فلا أشكّ في ذلك، لأنني أعرف مقدار طاعتكم.

ولذلك، بعدما أنهي هنا نصائحي في هذا الموضوع، أودّ أن أوجّه الكلام إلى أولئك الذين استحقّوا في هذه الليلة المضيئة أن ينالوا نعمة المعموديّة الإلهيّة: إلى هذه الغراس الطيبة في الكنيسة، وهذه الأزهار الروحيّة، وهؤلاء الجنود الجدد للمسيح. فقبل يومين كان الربُّ مصلوبًا على الصليب، أمّا الآن فقد قام. وهكذا أيضًا هؤلاء: قبل يومين كانت الخطيئة تستعبدهم، أمّا الآن فقد قاموا مع المسيح. ذاك مات بجسده وقام، أمّا هؤلاء فكانوا أمواتًا بخطاياهم، ومن الخطيئة قاموا. إنّ الأرض في هذا الفصل من الربيع تقدّم لنا الورود والبنفسج وسائر الأزهار، أمّا المياه فقد قدّمت لنا اليوم مرجًا أجمل من مرج الأرض.

ولا تتعجّب، يا حبيبي، إن كانت قد خرجت من المياه مروجٌ مملوءة بالزهور. فالأرض أيضًا في البدء لم تُخرج أنواع النبات لأنّ طبيعتها كانت

تقتضي ذلك، بل لأنها أطاعت أمر الربِّ. وكذلك المياه آنذاك أخرجت كائنات حيّة، لأنها سمعت القول: «لتفيض المياه زخافات ذات نفس حيّة» (تك ١: ٢٠). فتمّ الأمر، وأخرجت المادة الجامدة كائنات حيّة. وهكذا أيضًا الآن فعلت الكلمة الإلهية الأمر نفسه. ففي ذلك الوقت قيل: «لتفيض المياه زخافات ذات نفس حيّة»، أمّا الآن فلم تُخرج زخافات، بل مواهب روحية. في ذلك الحين أخرجت المياه أسماكًا بلا عقل، أمّا الآن فقد ولدت لنا أسماكًا عاقلة وروحية اصطادها الرسل. لأنه يقول: «هلمّ وزائبي فأجعلكم صيادي الناس» (متى ٤: ١٩). إنّ هذا الصيد حقًا صيدٌ جديد وعجيب؛ لأنّ الذين يصطادون السمك يخرجون الأسماك من الماء، وما يصطادونه يموت. أمّا نحن فعلى العكس، نُلقّهم في المياه، فينال الذين يُصادون الحياة.

كان لدى اليهود أيضًا في الماضي حوض ماء، لكن تعلّم أيّ قوة كانت له، لكي تعرف جيّدًا فقر اليهود وتدرّك غنانا نحن. إذ يقول: «لأنّ ملائكة كان ينزل أحيانًا في البركة ويحرك الماء. فمن نزل أولًا بعد تحريك الماء كان يبرأ» (يو ٤: ٤). أمّا ربّ الملائكة فقد نزل إلى مياه الأردن، وبعد أن قدّس المياه شفى المسكونة كلّها. لذلك هناك كان الذي ينزل بعد الأول لا يُشفى بعد، لأن النعمة عند اليهود كانت تُعطى للمرضى فقط، لأولئك المطروحين على الأرض. أمّا هنا فبعد الأول يدخل الثاني، وبعد الثاني الثالث والرابع. وحتى لو قلت إن كثيرين يدخلون، بل حتى لو أدخلت المسكونة كلّها في هذه المياه الروحية، فإن النعمة لا تنفد، والعطية لا تنتهي، والمياه لا تنتجس، وسخاؤه لا ينقص.

أرأيت كم هي عظيمة هذه العطية؟ اسمعوا هذا أنتم الذين صرتم اليوم وفي هذه الليلة مواطنين في أورشليم العلوية، واحفظوا هذه العطايا كما يليق بكثرّة النعم، لكي تنالوا نعمة أوفر. لأن الشكر على ما نلناه يدعو أيضًا سخاء الربِّ إلى أن يفيض علينا أكثر. فلا يليق بك بعد الآن، أيها الحبيب، أن تعيش في تراخ ولا مبالاة، بل ضع لنفسك قوانين ونظمًا، لكي تعمل كل شيء بإتقان، وتحفظ نفسك حتى من الأمور التي يُظنّ أنّها شرور. لأن الحياة الحاضرة كلّها جهاد وصراع، وعلى الذين دخلوا مرّة واحدة إلى هذا الميدان، ميدان الفضيلة، أن يكونوا متقشّفين في كل شيء. «وكلُّ من يجاهد يضبط نفسه في كلّ شيء». (١ كورنثوس ٩: ٢٥). أمّا ترى في الألعاب الرياضيّة كيف يعنى المتبارون بأنفسهم عناية شديدة عندما يقبلون أن يصارعوا الناس، وكم يمارسون أجسادهم بانضباط شديد؟ هكذا ينبغي أن يكون الأمر هنا أيضًا. لأن صراعنا ليس مع البشر، بل مع الأرواح الشريرة، ولذلك يجب أن يكون تدريبنا وضبطنا روحيين، إذ إن الأسلحة التي أعطانا إياها الربُّ هي أيضًا أسلحة روحية.

فليكن للعينين أيضًا حدودٌ وضوابط، حتى لا تنظر بغير تفكير إلى كل ما يعترضها. وليكن للسان سياج، حتى لا يندفع قبل العقل. ولهذا خلقت الأسنان والشفاه لحراسة اللسان، لكيلا يخرج الكلام بلا روية بعد أن تُفتح الأبواب، بل بعد أن يرتّب الإنسان أفكاره حسنًا، يتقدّم اللسان بكل وقار وينطق بكلام يفيد السامعين، ويقول ما يبني نفوسهم. كما يجب أن يُجتنب الضحك غير اللائق اجتنابًا تامًا، وأن

جهد كبير، بل سنجتذب **معونة عظيمة من الله**. وهكذا نقدر أن نعبر أمواج هذه الحياة الحاضرة بأمان، وأن نُبطل أيضًا مكائد الشيطان، فننال الخيرات الأبدية، بنعمة ربنا يسوع المسيح ومحبه للبشر، الذي له مع الآب، ومع الروح القدس، المجد والقدرة والكرامة، الآن وكل أوان، وإلى دهر الدهور. آمين.

يكون المشي هادئًا رزينًا، واللباس محتشمًا، وبصورة عامة ينبغي لمن اختار ميدان الفضيلة أن ينظّم كل شيء في حياته. لأن حُسن سلوك أعضائنا الخارجية هو صورة للحالة التي تسود في النفس. فإن نحن عوّدنا أنفسنا منذ البداية على مثل هذه الحياة، وسرنا بعد ذلك في طريقنا بسهولة، نستطيع أن نبليغ الفضيلة كلّها، ولن نحتاج إلى

تتمة من صفحة ٩ - سيرة القديس نكتاريوس أسقف المدن الخمس

على الإطلاق. لكن لم كان نائمًا بهذا الشكل؟ أمرٌ رهيب لا يصدّق! ولم يستطيعا حفظ الصمت، ولا السكوت عن الحادث. فأقلقهما الفضول ليلًا ونهارًا حتى أجبرا **نكتاريوس** أخيرًا على إخبارهما القصة بكاملها، فأصيبا بالذهول التام.

يتبع في العدد القادم

وفي تلك السنة، وبينما كان **جسد نكتاريوس** الأرضي يزداد ثقلاً بسبب الشيخوخة والتعب، كان عالم روحه الداخلي يولد باستمرار، ويزداد يقظة وحيوية وشفافية مع الوقت، ويقترّب من الكمال: يجب أن تولدوا من فوق. الروح يهبّ حيث يشاء... الذي يولد من الروح هو روح...

وفي إحدى الأمسيات، بعد صلاة الغروب، وعندما تسدّت الديون كلها بمعجزة، رسمت إحدى الراهبات الهرمات إشارة الصليب ثلاث مرات وشقّ تنهداها الصمت. وهي من الراهبات اللواتي كنّ هناك قبل مجيء **نكتاريوس**. فسألها بلطف:

— لماذا تتنهدين يا أختي؟

فأجابت بخجل:

— إنّ كل شيء يتدبّر الآن يا صاحب السيادة. ولكن ماذا سيحلّ بنا فيما بعد، عندما تغادر هذا العالم، وتستدعيك السماء؟

— آه لا تقلقي. فبعد أن أستدعي وأرحل سوف يصبح هذا الدير منارة مضيئة، منارة تلمع فوق جميع المحيطات. وسوف تعيش الجزيرة في سعادة... ويتوي سكانها من الذهب...

وفي فجر أحد أيام الصيف، صعد **نكتاريوس** الطريق الضيقة المتعرجة باتجاه المدينة القديمة. وراح يقترّب من الكنيسة القديمة المهذبة إلى قديسه المحبوب **ديونيسيوس**، حيث كان يصلي صلوات السحر ويقوم بالخدم الليتورجية. وكان ينصت إلى غناء العسافير التي يجيها كثيرًا، وفجأة انتصب أمامه ثعبان، وضرب الهواء بذيله، ورفع رأسه مهذّبًا. لكن **نكتاريوس** لم يفقد هدوءه، بل رفع عصاه ورسم إشارة الصليب وقال:

— ابق في مكانك ولا تتحرك! **يسوع المسيح هو الغالب**.

فزحف الثعبان مبتعدًا قليلًا، ثم حمد في مكانه ورأسه مرفوع.

وبعد ثلاث ساعات، وعند انتهاء الصلاة، كانت الراهبات يحضرن القهوة فوق موقد يعمل على الكحول أحضره معه. ولم يقل **نكتاريوس** شيئًا، بل استدعى أجيرين كانا يعملان في الكروم في مكان بعيد، وقال لهما:

— خذا حجرًا كبيرًا واذهبا إلى مكان كذا على التلة، وسوف تجدان ثعبانًا نائمًا في الأسفل. اقتلاه دون أن تحبرا أحدًا.

ففعل الرجلان كما قال لهما: ورميا الحجر من الأعلى وقتلا الثعبان. لكنهما دهشا كثيرًا إذ لم ير أحد مثل هذا الوحش في المكان من قبل

تفسير صلاة يسوع: «أيها الرب يسوع المسيح، إرحمني أنا الخاطيء»

الشيخ المتنيح إميليانوس،

رئيس دير سيمونوبيترا في جبل آثوس

صلاة جبل آثوس، من لا يعرفها؟ إنّها تتألف من جملة صغيرة وكلمات موزونة.

«أيها الرب يسوع المسيح، إرحمني، أنا الخاطيء»

عندما نصرخ بصوت عالٍ: «أيها الرب»، فنحن نمجّد الله البهيّ الجلال، ملك إسرائيل، خالق المنظورات، وغير المنظورات، الذي ترتعد منه الشيروبيم والسيرافيم.

بالتضرّع واستدعاء اسم «يسوع» الحلو، نشهد أنّ المسيح مُخلّصنا حاضر، ونشكره بامتنان، لأنّه هيأ لنا حياة أبدية.

بالكلمة الثالثة «المسيح»، نعرّف لاهوتياً أنّ المسيح هو ابن الله وأنّه الله. لا إنسانٌ يخلصنا ولا ملاك، بل يسوع المسيح الإله الحقيقي.

يتبع هذا التوسّل العميق كلمة: «إرحم»، فننوّسّل ونتضرّع لكي يكون الله عَطوفًا ومُحَقِّقًا طلباتنا الخلاصيّة، ورغبات واحتياجات قلوبنا.

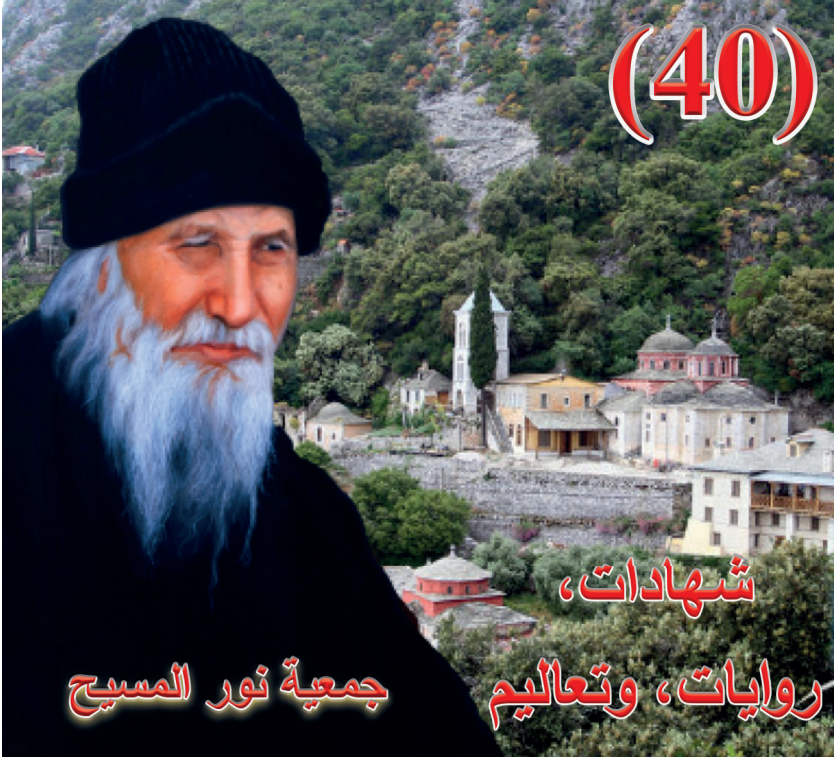
أمّا كلمة «إرحمني»، إلى أيّ مدى تمتدُّ! لا تشملني فقط، بل كلّ من ينتسب إلى مملكة المسيح، الكنيسة المقدّسة؛ جميع أعضاء جسد العريس.

وأخيرًا، لكي تكون هذه الصلاة مليئة بالحياة، نختم بكلمة الاعتراف: «أنا الخاطيء»، بما أنّنا كلّنا خطّاء، كما يعترف جميع القديسين

ويُصبحون من خلال هذا الإعلان أبناء النور والنهار.

من خلال هذا، نستنتج: أنّ هذه الصلاة تتضمّن:

● التمجيد ● الشكر ● اللاهوت ● التضرّع ● الاعتراف



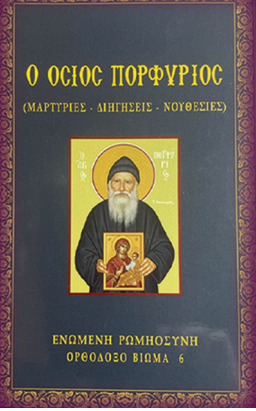
(40)

القديس پورفيروس الرّأي

كافسوكاليفيا

جبل آثوس

اليونان



شهادات،
روايات، وتعاليم
جمعية نور المسيح

العامّة) في مدينة ألكسندروبوليس. وعاد مسروراً، لأن الأطباء وجدوا صحته جيدة جداً.

لكن في اليوم التالي استدعوه ليعيد فحص الدم، لأنهم ظنّوا أنهم ربما ارتكبوا خطأ في التحليل. (إذ إنّ عدد الكريات البيضاء كان لا يتجاوز ٧٠٠ فقط).

وقد اضطرب الأطباء كثيراً بعد الفحص الثاني أيضاً، ولم يكونوا يعرفون إلى أيّ مستشفى ينبغي أن يرسلوه. فأخيراً قرّروا أن يُنقل إلى مستشفى ٤٠١، وأرسلوه على وجه السرعة إلى أثينا بإشارةٍ خاصة. وقد أُدخل إلى العزل يوم الجمعة ٢٠ تموز ١٩٨٥.



أما أنا (السيدة أنثي) فقد وصلت إلى أثينا مع الأولاد يوم الاثنين، وكان أول ما فعلته أن اتصلت هاتفياً بالشيخ. وقلت له تحديداً:

– يا أبانا الشيخ، أرجوك أن ترفع صلاةً من أجل زوجي، فهو في حالةٍ خطيرة جداً في المستشفى. اسمه دميتريوس.

– أصلي يا ابنتي. إن المسيح ووالدة الإله سيجعلانه بحير. لكن مع الفيروس الذي لديك أنت في حلقك، ومع الكريات البيضاء التي لديه هو، فلا تذهبي إلى المستشفى، لأنك قد تقتلينه ويموت.

ويذكر أن حلقي كان يؤلمني قليلاً، وفوق ذلك لم أكن قد أُبلغت من

العجيبية الحادية والعشرون: عجائب القديس بورفيروس
شهادة السيدة أفسيفيا تسرلتي من مدينة ميسولونغي:

كانت معرفتنا بالقديس بورفيروس في شهر أيلول سنة ١٩٨٥، حين اقترحت علينا إحدى بناته الروحيات، السيدة أنثي (التي كانت تعمل موظفة في خدمة زوجي)، أن نذهب كعائلة لتتعرّف إلى شيخها الروحي. وما إن وصلنا، وقبل أن تذكر السيدة أنثي أسماءنا، قالت له: «يا أبانا الشيخ، لقد أحضرتُ إليك رئيسي في العمل، لكي تبارك أولاده». فرسم علينا إشارة الصليب، ثم أخيراً طلب منه زوجي أن يصلي من أجل ابنتنا طاسوس، لأنه كان كثير الحركة.

فأجابه القديس قائلاً: حسناً، أنت تطلب مني أن أصلي من أجل طاسوس، ولكن لماذا لم تخبرني عن إيريني، التي يؤلمها بطنها؟ ليس بها شيء؛ إنها فقط تشعر بالغيرة.

بعد ولادة الطفل الثالث في العائلة، بدأت إيريني تشكو من آلام في بطنها. وقد كنت قد عرضتها على أطباء كثيرين، لكنني شخصياً لم أكن قلقة. أما والدها فكان يظن أن لدى الطفلة مرضاً خطيراً، وهو أمر لم أكن أعيره أنا اهتماماً. وفي النهاية تعافت إيريني منذ ذلك الحين، ولم تشتك مرة أخرى.

بعد ذلك كنا نذهب إليه بين حينٍ وآخر كأننا في نزهة، وأحياناً كنا ننال بركته، وأحياناً أخرى كنا نجلس ببساطة في الخارج. ولم تكن بيننا معرفة خاصة قطّ بحيث يعرف من نكون، كما أننا لم نكن من أبنائه الروحيين. بل كنا مجرد حجاجٍ بسطاء، كان يمنحنا بركته ويعطينا نصائح لأجل أولادنا.

أما العجيبية العظيمة التي استحققتها بنعمته فقد حدثت سنة ١٩٨٩. في ذلك الوقت كان زوجي يخدم في مدينة فيريس التابعة لمنطقة إفرس بصفة ضابط. وفي شهر تموز أجرى الفحص السنوي (الفحوصات

الأطباء بأنه لم يكن لديه أيّ مناعة، وأنه كان معرضاً للخطر حتى من عطسة شخصٍ ما.

في اليوم الذي اتصلتُ فيه بالشيخ بورفيروس ارتفع عدد كريات الدم البيضاء لدى زوجي فجأة إلى ٤٥٠٠. وقد اعتبر الأطباء ذلك خطأً في التحليل، لأن عدد الكريات عنده كان منخفضاً جداً قبل ذلك. أمّا الشيخ فقد قال لي بعد زمنٍ طويلٍ: إنّ هذا الارتفاع لم يكن صدفةً، بل حدث لكي تظهر قوة الله.

ومن ٢٠ تموز حتى ٦ كانون الأول بقي زوجي في العزل الطبي في المستشفى، حيث كان يمضي وقته في قراءة الكتب الدينية والاستماع إلى إذاعة الكنيسة البيراية (بيرية: قرب أثينا). وخلال تلك الفترة، ولأن الأطباء لم يكونوا قد عرفوا بعد طبيعة مرضه، أعطوه جرعتين من العلاج الكيميائي. إلّا أنّ هذا العلاج لم يُحدث تغييراً في حالته، إذ بقي عدد كريات الدم البيضاء منخفضاً عند نحو ٧٠٠ بشكلٍ ثابت.

وبالطبع، بخصوص العلاج الكيميائي كنتُ قد طلبتُ رأي القديس، فقال لي: «وقعي يا ابنتي، لأنه سواء أخذه أم لم يأخذه فالأمر سيّان». ثم بعد ذلك، وبطريقة عجيبة، أُتيحت لنا الفرصة أن نذهب إلى لندن عند البروفيسور كاتوفسكي. وقبل أن نساfer، ولأنني كنتُ أعتقد أنّ زوجي سيموت في لندن، ذهبْتُ إلى القديس نكتاريوس أسقف المدن الخمس ووصلتُ عند قبره. وهناك سمعتُ صوت جَرَ نعالٍ (خطوات)، وبعدها مباشرة سمعتُ ثلاث مرات: طَقّ - طَقّ - طَقّ.

ومع ذلك لم أكن أزال أصدّق، إذ كان الخوف ما يزال يسكن داخلي، لأن طبيب مستشفى ٤٠١ كان قد قال لي: «يا ابنتي، كيف ستأخذينه إلى إنكلترا؟ هل بطائرة خاصة؟ أتعلمين أنه إذا سعل أحدٌ بقربه فلن يتمكن حتى من الوصول؟».

ولكن بقوة الله، لم يقتصر الأمر على أنه وصل فحسب، بل إنّهُ لم يُدخل إلى المستشفى أصلاً. فقد كان مريضاً خارجياً، وكنا نقيم في الفندق. وبحقتين أعطاهما له الطبيب بدأت حالته تتحسن، ومع الحقنة الرابعة شُفي تماماً. وكان المرض الذي يعاني منه هو ابيضاض الدم ذو

الخلايا المُشعّرة (Hairy Cell Leukemia).

وبعد كلّ ذلك، ولأنني كنت أقول للجميع إنّ الشيخ قد صنع معنا معجزةً، ذهبنا لنشكره. وأوّل ما قاله لي القديس:

«يا ابنتي، أنا لستُ سوى كاهنٍ بسيط. إنّ والدة الإله والقديس نكتاريوس هما اللذان شفياه».

ولم أكن قد أخبرته أنّي ذهبْتُ إلى جزيرة إيجينا. وبعد ذلك بدأ يصف لنا الطريق وصفاً دقيقاً حتى قرية زوجي.

وكان يقول لي إنّهُ بالقرب من أحد الأديرة توجد آثار قديمة كثيرة، وقبورٌ لم تُنقّب. وبعد ثمانية وعشرين عاماً، أي سنة ٢٠١٤، كشف علماء الآثار هذه القبور إلى النور أثناء شقّ الطريق الأيوني (Ιόνια Ὀδός). كما قال لي أيضاً إنّهُ في يوم ما سيحدث لي مرضٌ في الأمعاء. وبعد عشرين عاماً ظهر لديّ داء الرتوج (حيوب صغيرة تتكوّن في جدار القولون) (Diverticula)، حتى إنني اقتربت مرتين من إجراء عملية جراحية، لكنّ العملية أُلغيت في اللحظة الأخيرة بنعمة الله.

«وقد حدثت معجزة ثانية للقديس في شهر تشرين الثاني سنة ٢٠١٤ في مستشفى نيميتس (NIMITS)، حيث كنتُ أنا أعالج بسبب مشكلة في الأمعاء. وهناك تحدّثتُ عن المعجزة التي صنعها القديس لزوجي أمام سيّدة تبلغ من العمر ثمانين سنة.

كانت هذه السيدة تُعالج بسبب المرارة، لكنها كانت قد خضعت قبل خمسة وعشرين عاماً لعملية قلبٍ وفي مساء ١٧ تشرين الثاني أُصيبَت برحفاً أُذنيّ (في أُذنين القلب)، بسبب مشكلةٍ في قلبها، فنُقلت على الفور إلى وحدة العناية الفائقة.

وهناك استغاثت بالقديس بورفيروس قائلةً له: «يا قديسي، أنا لا أعرفك، لكنك أنت تعرفني. تعال واصنع معي معجزتك، كما صنعتها مع هذه السيدة التي حدّثتني عنك هذا المساء».

وأخبركم أنّه في صباح اليوم التالي، عند الساعة التاسعة، عادت إلى غرفتها وهي تشكر الله على المعجزة التي حدثت لها قبل ساعات قليلة».

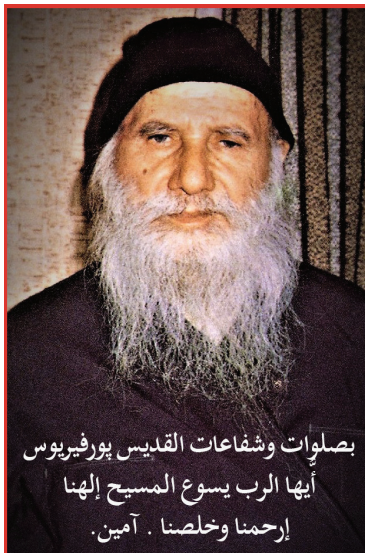
لأن القداسة الحقيقية لا تقوم على العجائب بل على المحبة العميقة للمسيح وللشخص.

ومن أقواله عن قيامة ربنا يسوع المسيح:

«نرجو أن نُقيم قيامة ربنا يسوع المسيح في نفوسنا كلّ شعورٍ نبيلٍ وجميل، وأن تقودنا جميعاً إلى القداسة، وأن تُميت الإنسان العتيق فينا مع أهوائه وشهواته. هذا ما يطلبه الرّب، وهذا ما نتمناه: أن تساعدنا قيامته وأن يُحسّن لديه أن نغلب ونميت إنساننا العتيق، لكي نصير مستحقين لكنيسته. نعم، هذا ما نرجوه: أن يعيننا الرّب».

سنين مباركة! المسيح قام!

القديس بورفيروس الرائي - كافسوكاليفيا



بصلوات وشفاعات القديس بورفيروس أيها الرب يسوع المسيح إلهنا إرحمنا وخلصنا. آمين.

القديس بورفيروس الرائي هو من أعظم قديسي الكنيسة الأرثوذكسيّة في العصر الحديث، وقد تميّز بنعمة روحية عميقة ومحبة كبيرة للإنسان. عاش حياةً مكرّسة للصلاة والاتحاد بالمسيح حتى صار قلبه مرآةً لنعمة الله. بدأ حياته النسكية في كافسوكاليفيا في جبل آثوس، ثم خدم المؤمنين سنواتٍ طويلة في أثينا، وأخيراً في ميليسي مقابل جزيرة إيفيا، حيث صار ملجأً لكثيرين يطلبون التعزية والإرشاد. ومن خلال هذه الحياة الروحية النقية منحه الله موهبة البصيرة، فكان يعرف خفايا النفوس، ويعزي المتألّمين، ويقود الكثيرين إلى التوبة والرجاء. ومع ذلك كان يرفض المجد لنفسه بتواضع عجيب، مؤكداً أن كلّ ما يحدث إنما يتم بقوة الله وبشفاعة القديسين،

الحرب في القلب...

إنَّ سلامَ العالم
يبدأ من سلام القلب.

Η ειρήνη του κόσμου
αρχίζει από την ειρήνη
της καρδιάς.

شذرات روحية من جبل آتوس

حرب القلب:

في هدوء أحد الأديرة، حيث ينساب النسيم ببطء بين أشجار الصنوبر، ويكسر جرس الدير برنينه الهادئ صمت النهار، اقترب راهب شاب من الشيخ **دوميتيانوس**. كان وجه الشيخ مملوءًا بتجاعيد سنوات طويلة من الصلاة والجهاد، وعينه تحملان ذلك العمق الذي يكتسبه الإنسان عندما يتعلّم أن يقف أمام الله بصدقٍ ومن دون أوهام.

اقترب الشاب بانحناء احترام وسأله ببساطة: يا أبتى، هل تخاف؟

نظر إليه الشيخ **دوميتيانوس** بعينين مملوءتين وداعة وقال: لا يا بني، لا أخاف حروب البشر. تعجّب الشاب وقال: ولكن يا أبتى، في العالم اليوم دمارٌ كثير. مدنٌ تُهدم، وعائلاتٌ تتفكك، والناس يُقتلون. فكيف لا تخاف؟

ابتسم الشيخ بهدوء، كإنسان رأى ما هو أعمق من الظواهر، وقال: - إن حروب الأرض مأساوية يا بني. إنها تجلب الدموع والألم. لكنها ليست أخطر معركة يخوضها الإنسان.

اقترب الشاب أكثر وسأل: فما هي إذن أعظم معركة؟

رفع الشيخ نظره نحو السماء كمن يستحضر حقيقة قديمة وعميقة، وقال: المعركة التي تدور في قلب الإنسان. هناك حيث تتصارع الإيمان مع عدم الإيمان، والتواضع مع الكبرياء، والمحبة مع القساوة. فعندما يتعد الإنسان عن الله يولد في داخله الاضطراب والانقسام. وليس الأمر أن هناك خليقتين، إحدهما صالحة والأخرى شريرة. فالله عندما خلق العالم نظر إلى عمل يديه وباركه قائلاً إن كل شيء حسنٌ جدًّا.

لكن الفساد يبدأ عندما يتعد قلب الإنسان عن عن موهبة النعمة الإلهية.

سكت الشاب قليلاً ثم سأل: وكيف يمكن لهذه المعركة أن تهدأ؟

أجاب الشيخ ببساطة، كما كان يجيب الآباء القديسون: **بالصلاة. وبالإيمان الذي لا يساوم على الحق. وبالحبة التي لا تطلب ما لنفسها. وبالمغفرة التي تشفي القلب.** هذه هي أسلحة الإنسان المسيحي الأرثوذكسي. ليست أسلحة دمار، بل أسلحة شفاء.

ويتعلّم القديس أنطونيوس الكبير أن أعظم جهاد للإنسان هو أن يعرف نفسه، وأن يحفظ قلبه نقيًا أمام الله. فعندما ينتصر الإنسان على الاضطراب الكامن في داخله، لا يعود ضحيج العالم ولا تهديدات الأزمنة قادرين على سلبه السلام.

نظر الشاب بعمق في عيني الشيخ **دوميتيانوس**، وهناك رأى شيئًا لا يُتعلّم بسهولة. رأى تلك الطمأنينة العميقة التي تولد عندما تتركز النفس على المسيح، وعلى الإيمان الأرثوذكسي الأبائي الذي حفظ الشعب الرومي الأرثوذكسي حيًّا عبر قرونٍ طويلة من المحن والتجارب. وعندئذٍ أدرك أن النصر الحقيقي لا يبدأ في ميادين الحروب، بل في القلب الذي يعود إلى الله. فعندما يتصالح الإنسان مع خالقه، يبدأ العالم من حوله أيضًا أن يدخل في السلام. إنَّ سلام العالم يبدأ من سلام القلب.

تأمل: إنَّ الصراعات التي تمرّق العالم لا تبدأ في ميادين الحروب، بل في أعماق القلب البشري. فالعصيان، والأنانية، ومحبّة الذات، والتعلّق المفرط بالأرضيات، هي التربة الخصبة التي تنبت منها الخصومات والنزاعات. وما يبدأ في قلب الإنسان سرًّا، يظهر لاحقًا في العلاقات بين الناس. فعندما يسود الكبرياء، تنشأ الخصومة بين شخصين. وعندما تغلب الأنانية، تتصدع العائلة.

وعندما تُستعبد القلوب لمحبة السلطة والمصالح، تمتد الصراعات إلى المجتمعات والدول.

لهذا يعلمنا الآباء القديسون أنَّ السلام الحقيقي لا يُبنى أولًا بالمعاهدات أو بالقوة، بل بتوبة القلب وعودته إلى الله. فالقلب الذي يتطهّر من الأهواء يصبح موضع سلام، ومن هذا السلام الداخلي يبدأ سلام العالم.

وكما يقول الآباء: «اقتنِ السلام في قلبك، فيخلص معك كثيرون».

وصف الصورة:

يظهر راهبان أرثوذكسيان بلباسهما الأسود يقفان في شرفة دير حجري قديم. على اليسار برج كنيسة تعلوه العلامة المقدّسة للصليب. أمامهما مشهد حرب ودمار: نيران، دخان كثيف، قذائف، ومدينة تحترق في الوادي.

الراهبان ينظران بصمت إلى العالم المضطرب، وكأنهما يشهدان مأساة العالم من موضع الصلاة.

وفوق الصورة كُتبت العبارة: **سلام العالم يبدأ من سلام القلب.**

تفسير رسالة القديس بولس الرسول الأولى

إلى أهل كورنثوس (50)

القديس يوحنا الذهبي الفم



لاحظ أن كل واحد من هؤلاء قال: «لي الحق أن أفرح وأبتهج بهذه المتع». نعم، لكن الرسول بولس يقول: إنك لا تمارس هذا الحق كمن له سلطان على هذه المتع، بل كمن هو تحت سلطانها، وما دمت أنت مُبَدِّرًا ومُسْرِفًا، فأنت لا تسود المتع، بل هي التي تسود عليك. وهذا من الممكن أن ينسحب على المال وعلى الشهوات الأخرى.

«الْأَطْعِمَةُ لِلْجَوْفِ» (1 كور 6: 13).

هنا لا يقصد بكلمة «جوف» الجوف في حد ذاته، بل يقصد الشراهة، كما يقول في موضع آخر: «الَّذِينَ إِلَهُهُمْ بَطْنُهُمْ» (في 19: 3)، فهو لا يقصد «البطن» باعتبارها عضوًا في الجسد، بل يقصد النهم والشراهة.

ولأن الأمر هو هكذا، اسمع ماذا يقول بعد ذلك: «وَالْجَوْفُ لِلْأَطْعِمَةِ، وَاللَّهُ سَيُبِيدُ هَذَا وَتِلْكَ. وَلَكِنَّ الْجَسَدَ لَيْسَ لِلزَّيْنَةِ بَلْ لِلرَّبِّ».

بالتأكيد الجوف هو جزء من الجسد، والرسول بولس طرح قرنين: الطعام والنهم، ودعا كليهما جوفًا، الآخرا هما الرّبّ والجسد. ماذا يعني بقوله: «الْأَطْعِمَةُ لِلْجَوْفِ»؟ يعني بأن الأطعمة لها علاقة بالنهم، والنهم له علاقة بالأطعمة.

إذا فالنهم لا يمكن أن يقربنا من المسيح، بل يجذبنا إلى الأطعمة. أي أن شهوة الطعام هي شهوة مخيفة ومتوحشة، وتجعل البشر عبيدًا يخدمونها.

إذا لماذا أيها الإنسان تنور وتفقد عقلك لأجل الطعام؟ لأن في النهاية هذا الاهتمام بهذه الشهوة سينقضي ولن يظهر شيء أكثر من ذلك، بل كمن يخدم سيّدة ما، فإنه يحفظ هذه العبودية باستمرار، لا يتقدم خطوة إلى الأمام ولا يكون له أي رسالة أخرى، بل هو يخدم هذا العبد فقط.

والاثنا (الجوف والأطعمة) مرتبطان ببعضهما البعض بشدة، ويجذب أحدهما الآخر إلى الفساد. الجوف يُفْتَحُ لاستقبال الطعام،

الإصحاح السادس:

العظة السابعة عشر: (1 كور 6: 12-14)

«كُلُّ الْأَشْيَاءِ تَحِلُّ لِي، لَكِنْ لَيْسَ كُلُّ الْأَشْيَاءِ تُوَافِقُ. كُلُّ الْأَشْيَاءِ تَحِلُّ لِي، لَكِنْ لَا يَتَسَلَّطُ عَلَيَّ شَيْءٌ.» (1 كور 6: 12).

1) هنا هو يلمح أو يشير إلى الشرهين، لأنه كان يرغب في أن يتحول مرة أخرى إلى الزاني. فالزنا ينتج عن الحياة المترفة والمرقّفة وعدم وضع معيار معتدل للحياة، إذ يدين الشهوة بشدة. وهو لا يتكلم عن المنوعات، لأنه لا يُسمح لهم بهذه الأمور، بل هو يتحدث عن الأمور المحايدة.

وأقصد الآتي: إنَّ الرسول بولس يقول إنه يُسمح لي أن أكل وأشرب، لكن ليس من المفيد أن أفعل هذا بنهم. والعجيب والمدهش أنه كثيرًا ما اعتاد أن يستخدم العبارات السلبية، وهذا ما يفعله هنا أيضًا.

ويرهن على أنه، إذا ادّعى أحد لنفسه الحق في أن يفعل شيئًا، فإن ذلك ليس فقط لا يفيد في شيء، بل لا يُعد حتى حقًا في حد ذاته، بل عبودية. والرسول يتيهيم:

أولًا: عن هذا المسلك، موضحًا أنه غير مفيد، قائلًا: «لا توافق».

ثانيًا: استخدم العبارات السلبية، قائلًا: «لا يتسلط عليّ شيء».

إنَّ ما يعنيه هو الآتي: يقول لك الحق أن تأكل، فإذا فلتبقي سيّدًا على الطعام، وإلا فإنك تصير عبدًا لهذه الشهوة. بمعنى أن من يستخدم هذا الحق كما ينبغي يكون سيّدًا على هذه الشهوة، أمّا من يسلك بلا اعتدال في استخدامه لهذه الشهوة فلا يكون بعد سيّدًا، بل عبدًا، لأن الشراهة والنهم أصبحتا مثل الطاغية المستبد في داخله.

أرأيت كيف أنَّ الرسول بولس قد برهن على أن من اعتقد أنه يمارس سيادة، يكون خاضعًا لسلطان سيادة أخرى؟ هذا ما اعتاد الرسول بولس أن يفعله كما قلت سابقًا، يحوّل الموضوع إلى الجهة العكسية، الأمر الذي فعله هنا أيضًا.

«وَاللَّهُ قَدْ أَقَامَ الرَّبَّ، وَسَيَقِيمُنَا نَحْنُ أَيْضًا بِقُوَّتِهِ.» (١ كو ٦: ١٤).

أرأيت مدى هذه الحكمة الرسوليّة مرّة أخرى؟ بمعنى أنّ حقيقة القيامة ينسبها الرسول بولس ويسندها **دوماً للمسيح**، وبشكل خاص الآن، بمعنى أنه لو أن أجسادنا هي أعضاء المسيح وأن المسيح قد قام، حيثذ فإن أجسادنا ستتبع الرأس.

يقول «بِقُوَّتِهِ»، أي لأنه تكلم بأمر يفوق مستوى التصديق، والذي لا يستطيع العقل أن يدركه. من حيث القوة غير المدركة التي للمسيح، فإنه استخدم **حدث القيامة** كدليل وبرهان قوي في مواجهة هؤلاء.

وبالنسبة لقيامه **المسيح**، لم يقل إن «الله سيقم الرب»، لأن هذا الأمر قد حدث، بل قال: «وَاللَّهُ قَدْ أَقَامَ الرَّبَّ»، وهذا لا يحتاج إلى برهان.

لكن فيما يتعلق بقيامتنا، لأنها لم تحدث بعد، لم يتكلم هكذا، بل قال: «وَسَيَقِيمُنَا نَحْنُ أَيْضًا بِقُوَّتِهِ»، وهذا يكون قد أجم أفواه المعارضين بحقيقة **قوة الرب** التي تعمل.

وإن كان الرسول بولس ينسب **قيامه المسيح لله**، فذلك لا يجعلك ترتعب أو تنزعج على الإطلاق، فهو لم يذكر ذلك باعتبار أن **المسيح** ليس له قوة، لأن **المسيح نفسه** يقول: «انْقُضُوا هَذَا الْهَيْكَل، وَفِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ أُقِيمُهُ» (يوحنا ٢: ١٩).

وأيضاً: «لِي سُلْطَانٌ أَنْ أَضَعَهَا وَلِي سُلْطَانٌ أَنْ آخُذَهَا أَيْضًا.» (يوحنا ١٠: ١٨). وأيضاً يقول القديس لوقا في سفر الأعمال: «أَرَاهُمْ أَيْضًا نَفْسَهُ حَيًّا» (أعمال ١: ٣).

لماذا قال الرسول بولس ذلك؟ لأن كل ما للابن ينسبه للآب، وكل ما للآب ينسبه للابن. هكذا يقول **المسيح**: «له المجد»، مهما عمل ذلك (أي الآب)، فهذا يعمله الابن كذلك.

إنه يذكر هنا **القيامه** في اللحظة المناسبة، فيكبح ويقمع طغيان هذا النهم بواسطة **هذا الرجاء في القيامة**. كما لو كان يقول إنك تأكل وتشرب بإسراف، لكن إلى أين سيقودك هذا الأمر في النهاية؟

لا شيء آخر سوى الفساد. **اتحد بالمسيح** وسترى ماذا ستكون النهاية. ستكون **القيامه في الدهر الآتي عظيمة ومبهرة**، ذلك المجد الأبدي يتجاوز كل منطق وكل عقل. **يتبع في العدد القادم**

والطعام يفتح طريقاً باطلاً نحو الجوف، حتى أنه إذا خرجت ديدان من الجسد عندما يتحلل، فهي تلتهم هذا الجسد، مثل الموجة التي ترتفع ثم تعود لتذوب مرة أخرى وسط الماء، دون أن تفعل شيئاً أكثر من ذلك.

هذه الأمور التي تكلم بها **الرسول بولس**، لا تنصرف فقط إلى الطعام والجسد، بل إنه يدين شهوة النهم وتناول الطعام دون معيار يتسم بالاعتدال. وهذا بيّنه بأن أضاف: «وَاللَّهُ سَيُبِيدُ هَذَا وَتَلُكُّ.»

لا يقصد البطن، بل الشهوة المنفلتة، ولا يدين الطعام، بل الحياة المترفة، بمعنى أنه لا يتأفف من أجل تلك الأمور، بل هو يقننها قائلاً: «فَإِنْ كَانَ لَنَا قُوَّةٌ وَكِسْوَةٌ، فَلْنَكْتَفِ بِهَيْمًا.» (١ تيمو ٦: ٨).

هكذا هو يستنكر ويستهنج هذه النقيصة بعدما أرشدهم ونصحهم وترجى تصحيح هذا الأمر. إلا أن البعض يقول إن ما قاله هو نبوة عن الحالة التي سيكون عليها الإنسان في الحياة الأبدية التي لا يأكل فيها البشر ولا يشربون.

وبما أن الشيء الذي يتم باعتدال سيكون له نهاية، فبالأكثر جداً ينبغي على المؤمنين أن يتعدوا عن الشيء المبالغ فيه.

٢) ولكي لا يعتقد أحد أنه يدين الجسد ولكي لا يظن أنه يدين كل الجسد، فإنه يبدأ من عضو محدد. ولكي لا يقول أحد إن الطبيعة (أي طبيعة الجسد) هي السبب في النهم أو الزنا، اسمع ما يقول:

أنا لا أدين طبيعة الجسد، بل إسراف النفس المبالغ فيه. ولذلك فقد أضاف: «الْجَسَدُ لَيْسَ لِلزَّنا بَلْ لِلرَّبِّ.»

أي أن الجسد لم يُخلق لكي تكون أنت مسرفاً في سلوكك وزناك، مثلما أن البطن لم يُخلق لكي تكون أنت خمماً، بل لكي تتبع **المسيح كراس**، ولكي يسود **الرب** على الجسد.

لنخجل من أنفسنا ولنرتعب، لأنه بينما جعلنا **الله** مستحقين لمثل هذه الكرامة، بأن جعلنا أعضاء جسده، فإننا نخزي أنفسنا بممارسة تلك الشهوات.

وبعدما أذان الشّهرين بالقدر الكافي، فإنه **يشي المؤمنين** ويردهم عن ممارسة هذه الشهوة من خلال رجاء الحياة الأبدية قائلاً:



† الفرح يأتي عندما نحب المسيح.

† من يحبّ المسيح لا يخاف شيئاً.

† الحياة الروحية بسيطة: أن نحبّ المسيح.

† الكنيسة هي جسد المسيح، وفيها شفاء الإنسان.

† المسيح هو الكل.

توزع هذه المجلة مجاناً

أقوال القديس بوليفيريوس: الهدف هو المسيح

† لا تُحاربوا الظلام، بل افتحوا النور، فيزول الظلام من ذاته.

† أحبوا المسيح، وعندئذ كل شيء آخر ينتظم.

† لا تضغطوا أنفسكم بشدة؛ فبالمحبة للمسيح يتم كل شيء.

لدعم نشاطات الجمعية تقبل التبرعات مشكورة
في بنك العمال فرع الناصرة، حساب رقم:

IBAN: IL48012726000000111122

كفر كنا - الشارع الرئيسي - ص. ب. ٦١٩

e-mail: light_christ@yahoo.com

http://lightchrist.org/bulletins.html

جمعية نور المسيح

المعزز المسؤول:

هشام خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح